دار التوحيد
لتحفيظ القرآن الكريم

أسماء الله الحسنى

جمع وإعداد: أ/ نجلاء السبيل
٠٥٤٠٧٠٢٠٠١ - ٢٦١٩٥٦٤

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

سبحانك الله وبحمدك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً.

قارئي الكريم..

هذا الإصدار الذي بين يديك ليس من تأليفي وإنما هو جمع جمعته من كلام أهل العلم وإن من أسباب بركة العلم أن يرد الفضل إلى أهله وهاأنذا أرده لأهله راجية البركة والنفع والقبول.

وكم كنت أتمنى وأرجو منذ سنوات أن أطرق باب الأسماء والصفات ولكن خوفي الشديد أن أتصدر لأمر أعلم تمام العلم أنني لست أهلاً له وأن بضاعتي فيه مزجاة وقف حائلاً بيني وبين هذه الأمنية. ولكن كلما سمعت عبارات أهل العلم في ذكر شرف هذا العلم فهاهو الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله يتكلم عن التعريف بالله وبأسمائه وصفاته فيقول "والذي عليّ أن أبلغك به أنها ا لحلاوة التي لا تدانيها حلاوة ، وليس لي أبداً أن أصف لك المذاق ، لأن الحلاوة لا تدرك إلا أن تذاق ... فلتعرف ما هنالك ذق . فاسلك عسى أن تكون من الراشدين"[1] .

[1] كتاب "بلاغ الرسالة القرآنية" للدكتور فريد الأنصاري صـ٩٠ – بتصرف.

ومن قبله ابن رجب رحمه الله يقول [1] "كنز المؤمن ربه" أي أن الغنيمة العظمى والكنز الأكبر أن يعرّفك الله بأسمائه وصفاته وأن تستقر هذه المعرفة في قلبك وتتحقق آثارها فيك ، فهذا هو العيش الرغيد والنعيم المعجل الذي يناله العبد في الدنيا قبل الآخرة ، وهذا هو أحلى وألذ المقامات التي يتقلب فيها المرء وهو مازال يمشي على الأرض.

تشوقت أن يكون لي حظ ونصيب من هذا الفضل ومن هذا العلم وأن لا أُحرم منه فاستعنت بالله وأخذت أدرسها وأفرغ هذه الدروس ومن ثمّ أجمع الفوائد وأربط بينها وأصيغها بعبارات سهلة غير متكلّفة وكان أهم ما يشغلني كيف أربط هذه الأسماء بواقع الناس وحياتهم حتى يصبح لها عظيم الأثر فيهم وحتى أنال أجر دلالة ا لعباد على ربهم، فإن مما حفظته ودرسته أن العبد إذا أحبّ ربه بصدق اشتغل بدلالة العباد عليه، فما زلت أطمع أن أكون منهم وفيهم وأن ألحق بركابهم

ثم بدأت أعرض هذا الجمع الذي جمعته في محاضراتي – على حياء وخجل – لم أعرضه في دروس مستقلة منفردة بذاتها وإنما عرضته من خلال سور القرآن التي نتدبرها في برنامج التدبر الذي افتتحناه في مدرستنا "دار التوحيد لتحفيظ القرآن" التي أسأل الله أن يبارك فيها وفي أهلها وطالباتها وفي كل من يرتادها.

وها هو الجمع الذي جمعته بين يديك فإن وجدت فيه نفعاً وبركةً فهذا من توفيق الله ومنّته والفضل كله لله، وإن وجدت فيه خطأ ونقصاً فمن نفسي واستغفر الله وأتوب إليه، ولا تبخل عليّ قارئي الكريم بنصح وتوجيه فقد أخبرتك من البداية أنني أطرق الباب على حياء وخجل.

---

[1] رسائل ابن رجب

وأجدني أُردد ما قاله الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله في منظومته:

أسيرُ خلف ركاب النُجب ذا عـرجٍ　　　مؤمـلاً غير ما يقضي به عَرَجـي

وإن ظللتُ بقفر الأرض منقطــعاً　　　فما على أعرجٍ في ذاك من حرجٍ

لن أختم مقدمتي قبل أن أقول لك هذه الدروس تحتاج إلى قلب.

اقرأها بقلبك فلعلك أن تترقى في روحانيتها ومعارجها، ولعلها أن تعرفك بربك معرفة تقودك إليه ، وتقرّبك منه ، ولعلها إن تضفي على قلبك حباً لا يشبهه حبٌ البته !!

ومن ذاك إحساس المحب لقلبه　　　بضربٍ وتحريك إلى الله دائما [١]

أسأل الله لي ولكم العلم النافع والعمل الصالح وصلاح القلب.

للاستفسار ولإرسال أي مشاركة أو تعليق فعلى هذا الرقم:

٠٥٤٠٧٠٢٠٠١　جوال مدرسة دار التوحيد

سبحانك الله وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

أختكم

أم عبد الرحمن

نجلاء

انتهت من كتابته

يوم السبت الموافق ١٤٣٣/٣/٤هـ

الساعة الواحدة ظهراً

---

[١] المنظومة السابقة الذكر

معارج القلب ... إلى حياة الروح

قال تعالى﴿ قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى ﴾ (الإسراء ١١٠)

وقال تعالى ﴿ الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ﴾ (طه ٨)

وقال تعالى ﴿ هو الله الخالق البارئ المصوّر له الأسماء الحسنى ﴾ (الحشر ٢٤)

وقال تعالى ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾

"إن لله تعالى تسعة وتسعين إسماً مائة إلا واحداً لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة "[١]

وفي رواية أخرى "إن لله تسعة وتسعون اسماً : مائة غير واحد لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر.

---

١ متفق عليه

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

سبحانك الله وبحمدك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً.

قارئي الكريم..

هذا الإصدار الذي بين يديك ليس من تأليفي وإنما هو جمع جمعته من كلام أهل العلم وإن من أسباب بركة العلم أن يرد الفضل إلى أهله وهاأنذا أرده لأهله راجية البركة والنفع والقبول.

وكم كنت أتمنى وأرجو منذ سنوات أن أطرق باب الأسماء والصفات ولكن خوفي الشديد أن أتصدر لأمر أعلم تمام العلم أنني لست أهلاً له وأن بضاعتي فيه مزجاة وقف حائلاً بيني وبين هذه الأمنية. ولكن كلما سمعت عبارات أهل العلم في ذكر شرف هذا العلم فهاهو الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله يتكلم عن التعريف بالله وبأسمائه وصفاته فيقول "والذي عليّ أن أبلغك

به أنها الحلاوة التي لا تدانيها حلاوة ، وليس لي أبداً أن أصف لك المذاق، لأن الحلاوة لا تدرك إلا أن تذاق... فلتعرف ما هنالك ذق. فاسلك عسى أن تكون من الراشدين"[1].

ومن قبله ابن رجب رحمه الله يقول ٢ "كنز المؤمن ربه " أي أن الغنيمة العظمى والكنز الأكبر أن يعرفك الله بأسمائه وصفاته وأن تستقر هذه المعرفة في قلبك وتتحقق آثارها فيك ، فهذا هو العيش الرغيد والنعيم المعجل الذي يناله العبد في الدنيا قبل الآخرة ، وهذا هو أحلى وألذ المقامات التي يتقلب فيها المرء وهو مازال يمشي على الأرض.

تشوقت أن يكون لي حظ ونصيب من هذا الفضل ومن هذا العلم وأن لا أُحرم منه فاستعنت بالله وأخذت أدرسها وأفرغ هذه الدروس ومن ثمّ أجمع الفوائد وأربط بينها وأصيغها بعبارات سهلة غير متكلّفة وكان أهم ما يشغلني كيف أربط هذه الأسماء بواقع الناس وحيات هم حتى يصبح لها عظيم الأثر فيهم وحتى أنال أجر دلالة العباد على ربهم ، فإن مما حفظته ودرسته أن العبد إذا أحبّ ربه بصدق اشتغل بدلالة العباد عليه، فما زلت أطمع أن أكون منهم وفيهم وأن ألحق بركابهم

ثم بدأت أعرض هذا الجمع الذي جمعته في محاضراتي – على حياء وخجل – لم أعرضه في دروس مستقلة منفردة بذاتها و إنما عرضته من خلال سور القرآن التي نتدبرها في برنامج التدبر الذي افتتحناه في مدرستنا "دار التوحيد لتحفيظ القرآن " التي أسأل الله أن يبارك فيها وفي أهلها وطالباتها وفي كل من يرتادها.

---

١ كتاب "بلاغ الرسالة القرآنية" دللكتور فريد الأصارني لا-٩٠ – بتصرف.
٢ رسائل ابن رجب

وها هو الجمع الذي جمعته بين يديك فإن وجدت فيه نفعاً وبركةً فهذا من توفيق الله ومنّته والفضل كله لله، وإن وجدت فيه خطأ ونقصاً فمن نفسي واستغفر الله وأتوب إليه ، ولا تبخل عليّ قارئي الكريم بنصح وتوجيه فقد أخبرتك من البداية أنني أطرق الباب على حياء وخجل.

وأجدني أُردد ما قاله الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله في منظومته:

أسيرُ خلف ركاب النُجب ذا عرجٍ   مؤملاً غير ما يقضي به عَرَجي

وإن ظللتُ بقفر الأرض منقطعاً   فما على أعرجٍ في ذاك من حرجٍ

لن أختم مقدمتي قبل أن أقول لك هذه الدروس تحتاج إلى قلب.

اقرأها بقلبك فلعلك أن تترقى في روحانيتها ومعارجها ، ولعلها أن تعرفك بربك معرفة تقودك إليه ، وتقرّبك منه ، ولعلها إن تضفي على قلبك حباً لا يشبهه حبٌ البته !!

ومن ذاك إحساس المحب لقلبه   بضربٍ وتحريك إلى الله دائما [1]

أسأل الله لي ولكم العلم النافع والعمل الصالح وصلاح القلب.

سبحانك الله وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

أختكم

أم عبد الرحمن

نجلاء

---

[1] المنظومة السابقة اذكرل

اســــم اللّه (الـفــتــاح)

اسم من أسماء الله تعالى وهو من الأسماء التي تزيد من حب العبد لربه يدل على ثبوت صفة الفتح له سبحانه وبحمده ، ورد مرة واحدة في كتاب الله: ﴿**قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ**﴾[1] .

جاء على وصف المبالغة ليدل على أن الله كثير الفتح على عباده.

قال ابن القيم في نونيته:

وكذلكَ الفتَّاح من أسمائِــــه والفتّحُ في أوصافهِ أمْرانِ

فتحٌ بحكم وهو شرع إلهِــنا والفتحُ بالأقـدْارِ فتحٌ ثانِ

والربُّ فتّاحٌ بذين كليهـــــما عدْلاً وإحساناً من الرحمنِ

وفتح الله لعباده فتحان :

الفتح العام:

وهو فتح ما استغلق عليهم من أمورهم وأسبابهم ومعاشهم سواء في الأرزاق أو في الأموال أو في الزواج، أو في الخصومات... فهو الذي بعنايته ينفتحُ كل مغلق فييسر لهم ما تعسّ ر عليهم ويقرب لهم ما بعد عنهم، ويفتح لهم ما أغلق عليهم فهو الفتاح العليم.

فالله بيده مفاتيح خزائن السماوات والأرض . قال سبحانه ﴿ **لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ و الأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ (الشورى ١٢)

---

١ سبأ (٢٦)

والمقاليد: مفاتيح الرزق في السموات والأرض، فما يفتحه من الخير للناس لا يملك أحد أن يُغلقه عنهم، وما يغلقه فلا يملك أحد أن يفتحه عليهم كما قال جل وعلا ﴿**ما يفتح الله للناس من رحمةٍ فلا مُمسك لها وما يُمسك فلا مُرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم**﴾ (فاطر ٢).

فلو فتح الله المطر على الناس فمن ذا الذي يحبسه عنهم، حتى لو أدّى المطر إلى إغراقهم وإهلاكهم مثلما حدث لقوم نوح عليه الصلاة والسلام فقد وصلت المياه إلى رؤوس الجبال، فما استطاعوا أن يردوها عن أنفسهم، ولو حبس عن عباده القطر والنبات سنين طويلة لما استطاعوا أيضاً أن يفتحوا ما أغلقهُ الله سبحانه[١].

الفتح الخاص:

ذلك الفتح الذي يفتح الله به على من يشاء من عباده على حسب ما قام في قلوبهم من الإخلاص والصدق والتقوى وهو فتح أقفال القلوب، فتح البصائر ، ويتضمنه قول الله تعالى : ﴿**أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾[٢].

قال القرطبي: (وهذا الفتح والشرح ليس له حد ، وقد أخذ كل مؤمن منه بحظ) [٣].

وهو ما يفيض الله به على قلوب من أختصهم بلطفه وعنايته من العلم والفهم والحكمة والبصيرة والسكينة والأنس والقرب والمحبة وما يدر عليهم من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية والمقامات الروحانية التي تستقيم بها أحوالهم.

وقد قسم القرطبي الناس في هذا الفتح لدرجات فقال :

(يا من فتح الله أقفال قلبه وأفاض عليه بنور من عنده حل أقفال قلوب جاهلة بمفاتح العلوم وكن مفتاحاً كما فتح الله عليك وأحسن كما أحسن الله إليك.

---

١ النهج الأسمى (٢١١/١)
٢ الزمر (٢٢)
٣ النهج الأسمى (٢١٢/١)

وإن كنت لم تصل إلى هذا المقام من الفتح وفتح عليك من الرزق الظاهر فكن ذا يدٍ سمحة وقلب مفلح فإنما تنفق من خزائنه التي لا تغلق ولا يضيع لها مفتاح.

وإن كنت عدمت ذلك فأسعى أن تكون مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : "أن من الناس مفاتيحاً للخير مغاليقاً للشر ، ومن الناس مفاتيحاً للشر مغاليقاً للخير فطوبى لمن جعل الله الخير على يديه ، وويل لمن جعل مفتاحَ الشرِ على يديه "[1]

ولا شك ولا ريب أن من سمع هذه الحديث سيتحرك قلبه شوقاً وطمعاً ويتمنى أن يكون مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، ويتمنى أن يكون من أهل طوبى وأن يُجري الله الخير على يديه . نسأل الله من فضله.

كيف تكون مفتاحاً للخير؟؟[2]

حتى يكون العبد مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر فعلاً وواقعاً وعملاً وتطبيقاً فإنه لا يكفي في ذلك مجرد التمني أو مجرد التحلّي، بل لا بد من فهم حقيقة الأمر والإتيان بأسبابه ومقاصده ومنها:

١- رغبة العبد في الخير ونفع العباد:

والمقصود بها النية الصادقة والعزم الأكيد إذ أن النية مؤثرة على العمل وهي الأصل في كل شيء والبداية لكل شيء والمرء يعطى على قدر نيته وقد جاء في الحديث "إنما الأعمال بالنيات.

فالإنسان إذا أخلص نيته وصحح مقصوده وكان صادقاً قد نصب رغبته في الخير بين عينية أُعطي مراده وتحقق مطلوبه وحصّل من ربه خيراً كثيراً أضعاف ما كان يتصوَّره.

١ سنن ابن اجمه

٢ أصل ذه البحث محاضرة دللكتور عبدالرزاق البدر – جمعت في كتيب اوذعنه كيف تكون فمتاحاً خللير ، سونحاول التعليق على ضعب القانط التي تكراه الشيخ حفظه الله

٢- اللجوء إلى الفتّاح بالدعاء:

من أراد أن يكون مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر فليلجأ إلى ربه الفتّاح ليفتح عليه فبيده مفاتيح خزائن السموات والأرض قال سبحانه ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١] .

ولا يستكثر على ربه شيئاً أن يفتحه له فالفتح كله من الله والقلوب كلها بيد الله يفتحها متى شاء ولمن شاء ، يقول مطرف بن الشخّير رحمه الله وهو من العلماء التابعين : (لو أُخرج قلبي وجعل في يساري ، وجيء بالخيرات كلها وجٌعلت في يميني لم أستطيع أن أجعل شيئاً من هذه الخيرات في قلبي إلا أن يكون الله هو الذي يضعه)[٢].

الله عز وجل قد قسَّم بين العباد الأخلاق والأرزاق والأعمال والمواهب وليس لنا لفتح أبوابها إلا أن نضرع وننطرح ونلح على الله بالدعاء وكما قال ابن القيم ر حمه الله : (كل خير فأصله توفيق الله للعبد ومفتاحه الدعاء) وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أنه ليس شيء أكرم على الله تعلى من الدعاء".[٣]

فأنت محتاج أن تسأل ربك أن يفتح عليك بالعلم النافع والعمل الصالح وأن يشرح صدرك ويأخذ بيدك ويعينك ويقويك ويحسن أخلاقك فلن تكون مفتاحاً للخير بدون أخلاق، وهذه الأخلاق كما قال بعض السلف:

(إن هذه الأخلاق وهائب وإن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبده وهبه منها)[٤] ثم إذا سألت ربك الفتح فقف عند بابه بحسن الانتظار تاركاً الاستعجال فالمتعرض الملح حرّيُ أن يفتح له.

---

١ الشورى الأية (١٢)
٢ حلية الأولياء (٢٠١/٢) سوير أعلام النبلاء (١٩٠/٤) قنلاً عن كتيب كيف تكون فمتاحاً خللير.
٣ أخرجه أحمد في المسدن صوححه ابن حبان
٤ كيف تكون فمتاحاً خللير صفحة (١١).

٣- العلم النافع:

من أراد لنفسه أن يكون مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر عليه أن يحرص على العلم النافع فالمنهج لكل رابح أن يتعلم. قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١].

والبصيرة هي العلم النافع فمن لم يكن عنده علمُ نافع كيف يميّز بين الحق والباطل ، والهدى والضلال والسنة والبدعة؟؟

العالم نور ينفع نفسه وينفع من جالسه ومن سمعه وتأمل في هذا التشبيه النبوي البليغ : "وإن فضل العلم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب"[٢]

فالكوكب يحيط به هالة من النور كحال العابد ينفع نفسه وينفع بعض جلسائه ولكن نفعه قاصر على حث الناس على التعبد أما العالم فنوره وأثره كالقمر ، نور القمر يملأ الصحاري والجبال والهضاب والسهول والمحيطات فأثر العالم أكبر من أثر العابد ، ينفع أهل بيته وجير انه وأهل مسجده وينفع في حله وتر حاله ، وينفع حتى بعد موته يبقى عمله الذي علمه ونشره مات بدنه وبقي علمه لذلك أهل العلم هم أكثر الناس مفاتيحاً للخير مغاليقاً للشر كم وكم من الناس في صحائفهم ؟ هذا انتفع وهذا تغير وهذا تأثر وهذا أقلع عند معصية وهذا تاب ... وهذ ه بركة الأعمار وكأن الزمان قد طوي لهذا العبد فأخذ أجره وأجر كل من استفاد منه وتعلم منه.

قال صلى الله عليه وسلم :"إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير"[٣].

---

[١] يسوف الأية (١٠٨)
[٢] رواه الإمام أحمد أوصحابه في السنن : انظر صحيح الجامع (٣٠٢/٥)
[٣] اخرجه الترمذي – انظر صحيح الجامع رقمالحديث(١٨٣٨)

٤- العناية بفرائض الإسلام – وعلى رأسها الصلاة:

لأن الصلاة مفتاح يستمطر به العبد ويستدر به توفيق الله وفتحه وعونه ومدده النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في صحيح البخاري استيقظ ذات ليلة فقال : "**لا إله إلا الله**" وفي رواية قال : "**سبحان الله**"! ماذا أنزل الله هذه الليلة من الفتن ؟! ماذا فتحت الله هذه الليلة من الخزائن؟! لاحظ أيها القارئ الكريم ! فتنٌ نزلت ، وأبوابٌ وخزائن خير فتحت فإلى ماذا أرشد عليه الصلاة والسلام بعدها ؟؟ قال : "**من يوقظ صواحب الحُجُراتِ يصلين**"

أرشد إلى الصلاة ..

إذا أردت أن تكون مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر فالله الله في صلاتك إذا أفلحت فيها أفلح سائر عملك وفتح عليك مع نفسك ومع الناس ..

وإذا ضيعتها وطففتها وأنقصتها أغلق عليك وبلّيت بالخسارة وتقول لك : (ضيّ عكَ الله كما ضيعتني)

(الصلاة نور)[1] كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نور لصاحبها في الدنيا ونور له في الآخرة ، ولكن كثير منا قلّ حظه من هذا النور لأننا أصبحنا مؤدين للصلاة ولسنا مقيمين لها، بالرغم أن القرآن كله قد أمر بإقامة الصلاة ، والإقامة شيء زائد عن مجرد أداء حركات الجسم بأن تقوم وتركع وتسجد وتقرأ ؟! الإقامة هي حضور القلب في الصلاة والخشوع فيها ليعظم حظك من هذا النور.

فكيف يريد من يثقل رأسه عن الصلاة أن تتفتح له أبواب الخير ؟؟ لا سيّما صلاة الفجر التي هي بداية اليوم وأساسه وزمامه وأوله ، وهذا الوقت الذي هو متنزل الأرزاق ومتنزل الفتح والبركات فمن خسر صلاة الفجر أُغلقت الأبواب دونه ، وسدت الأرزاق عنه.

---

[1] رسهاوم لم وغيره صحيح الترغيب اولترهيب (٢٧٧/١)

إذا كانت السنة الراتبة قبل الفجر "خير من الدنيا وما فيها"[1] كما ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بالك بصلاة الفجر نفسها! ماذا سيحصل بها العبد من الخيرات والبركات والفتح والتوفيق ؟؟؟

قال صلى الله عليه وسلم :"**من صلى الصبح فهو في ذمة الله وحسابه على الله**".[2]

وكل من يريد أن ينفع الناس ويقف على قدميه للناس لا بد أن يستعين بالصلاة وأن يأخذ أ من نفس الزاد الذي أخذ منه الأنبياء وهو : {واستعينوا بالصبر والصلاة} ولا سيّما قيام الليل فهو الزاد الذي يكفل لك أن تثبت وتقوى وتستمر : ﴿**يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّل (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلا (٢) نِّصفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤)**﴾.

٥- مجاهدة النفس على البعد عن الأثام:

إذا أرت لم تستطع أن تغلق باب الشر والإثم عن نفسك فلن تستطيع أن تغلقه على غيرك وتكون مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر.

روى الإمام أحمد رحمه – في مسنده– عن النواس بن سمعان رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "**إن الله ضرب مثلاً صراطاً مستقيماً ، وعلى جنبتي الصراط أبواب ، وعلى الأبواب ستورٌ مرخاة وفي أول الصراط منادي ينادي: يا عباد الله ! أدخلوا الصراط ولا تعوجوا ، ومن جوف الصراط – وفي لفظ ومن فوق الصراط منادٍ ينادي يا عبد الله ! لا تفتح الباب فإنك إن فتحته تلجهُ ، ثم بين ذلك فقال : أما الصراط فهو الإسلام ، وأما السوران فحدود الله ، وأما الأبواب التي عليها ستور مرخاة فمحارم الله ، وأما المنادي الذي ينادي من أول الصراط فكتاب الله ، وأما المنادي الذي ينادي من جوف الصراط أو من فوق الصراط فواعظ الله في قلب كل مسلم**".[3]

---

[1] رسهاوم لم اولترمذي – صحيح الترغيب (٣٧٩/١)
[2] رواه الطبراني في اكلبير اولأسوط – صحيح الترغيب (٣١٤/١)
[3] سمدن الإامم أحمد

على ضوء هذا الحديث ..

من أراد أن يكون مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر ويصل للجنة فعليه أن يسير في هذا الطريق المستقيم ، وليعلم أن على جنبتي هذا الطريق أبواب كثيرة عن يمينه وعن يساره ، وهذه الأبواب عليها ستورٌ مرخاة ليست أبواب فيها مغاليق ولا مفاتيح ولا أقفال وإنما عليها ستائر فقط فهي لا تحتاج إلى جهد ولا تعب ولا وقت مجرد أن يشد الستارة سيدخل مباشرة . والمقصود بهذه الأبواب التي عليها الستور المرخاة : أبواب الحرام والشر والمعاصي والفتن ، فهي كثيرة عن اليمين والشمال والدخول إليها سهلُ وميسر فإذا استسهلت شد الستار ودخلت في باب من هذه الأبواب فقد فتحت على نفسك باب الشر أولاً –

ولأن النفس من طبعها أنها إذا دخلت وولجت وتوطدت في الحرام وتمكن منها لا تحب أن تكون وحدها فيه ، بل ستدعو غيرها معها وتفتح باب الشر عليه ثانياً . ويتحول الإنسان من فاعل للحرام إلى داع للحرام مُرغِّب فيه والعياذ بالله فيكون بذلك مفتاحاً للشر مغلاقاً للخير.

وكما قال الإمام الشاطبي رحمه الله :

(طوبى لمن مات وماتت معه ذنوبه والويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة يعذب بها في قبره ويُسأل عنها إلى انقراضها)[1]

٦- الاستباق إلى الخير ، ومرافقة الأخيار – ولا تحقرن ما فتح عليك من أبواب الخير:

لن يكون الإنسان مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر إلا إذا كان هو بذاته معتنياً بالخير سباقاً إليه كما قال شعيب عليه السلام لقومه : ﴿وما أُريدُ أنْ أُخالِفَكُم إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾[2] وأن يكون حريصاً على مجالسة الصالحين الأخيار فهذه الصحبة تقوي عزيمته وتعلي همته وتعينه على الخير وتثبته عليه والناس كأسراب القطا يقلد بعضهم بعضاً والصاحب ساحب والطبع سراق.

[1] قنلاً عن كتاب كيف تطيل رمعك الإنتاجي
[2] دوه (٨٨)

والنبي صلى الله عليه وسلم قال : "إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسكِ : إما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة" [١]

وأبواب الخير كثيرة متنوعة فمن فتح عليه بباب فيلزمه وكما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (من بورك له في شيء فليلزمه)[٢]

اِلزمه حتى لا يحال بينك وبينه فإن من لم يغتنم يحرم ولا تحقرن من المعروف والخير شيئاً ولو كان قليلاً فمثقال ذرة من الخير ينفعك الله بها وهذا الخير القليل سيفتح لك أبواب أخرى من الخير أكبر وأكثر فالحسنة تنادي أختها والله عز وجل يقول : ﴿**هل جزاءُ الإحسانِ إلا الإحسان** ﴾[٣] والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : "**ما فتح رجل باب عطيةٍ بصدقةٍ أو صلةٍ إلا زاده الله تعالى بها كثرةً** ".[٤]

ومهما عملت وتحقق من الخير على يديك فلجعل نصب عينيك قوله تعالى : ﴿**ولا تم نن تستكثر**﴾[٥] فإن من علامة قبول العمل نسيانه واستصغاره ، واستحضر عظيم منّة الله عليك أن اختارك واصطفاك وأجرى هذا الخير على يديك ويكفيك ما بشرك به رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**من نفّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسرّ على معسرٍ في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلماً ستر الله عليه في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**"[٦]

---

[١] ابخارلي (٥٥٣٤) ، (سمولم ٢٦٢٨)
[٢] قنلاً عن كتاب (شكراً لكم أياه الأداءع) د سلامن العدةو
[٣] سرةو الرحمن لآاية (٦٦)
[٤] السلسلة الصحيحة (٢٢٣١)
[٥] سرةو ادمل ثث لآاية (٦)
[٦] رسهاوم لم أبوو داود وحسنها لألباني في صحيح الترغيب (٧٠٦/٢)

واستمع وتأمل أيها القاري الكريم لهذا الأجر العظيم لباب من أبواب الخير أيضاً : " **ومن مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ، ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزول الأقدام**"[1]

الله أكبر ما أعظمة من أجر ومن ثواب وإياك أن تنتظر شكراً من أحد فمن طلب العوض من الناس أبطل معاوضته مع الله.

وما عند الله خير وأبقى

والله يقول : ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[2]

ثم نختم هذا المبحث بأخر وصيةٍ :

لك يا من فتح الله عليك أبواب الخير وقضاء حوائج الناس احذر أن تتذمر أبو تتململ أو تمتنع فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

"إن لله عند أقوام نعماً أقرها عندهم ما كانوا في حوائج الناس مالم يملوهم فإذا ملوهم نقلها إلى غيرهم"[3]

فمن جعل الله حوائج الناس إليه فلم يقم بها أوشك الله عز وجل أن يرفع منه إلى غيره.

وفي الختام .. أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يفتح علينا أجمعين من واسع فضله وعظيم عطائه وأن يجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر وأن يجعلنا مباركين أينما كنا .

---

[1] رواه ابن ابي الدنيا – وحسنها لألباني (٧٠٩/٢)

[2] سرةو الزممل آية (٢٠)

[3] رواه الطبراني وحسنها لألباني في الترغيب (٧٠٧/٢)

اسم اللّه (الصمد)

قد ورد هذا الإسم في سورة الإخلاص ﴿ **قل هو الله أحد (١) الله الصمد (٢) لم يلد ولم يولَد (٣) ولم يكُن له كُفواً أحد (٤)**﴾

قال القرطبي رحمه الله ،: (اشتملت السورة على اسمين من أسماء الله تعالى يتضمنان جميع أصناف الكمال لم يوجدا في غيرها من السور وهما "الأحد – الصمد" لأنهما يدلان على أحدية الذات المقدسة الموصوفة بجميع أوصاف الكمال ، وبيان ذلك :

أن الأحد يشعر بوجوده الخاص الذي لا يشاركه فيه غيره.

والصمد يشعر بجميع أوصاف الكمال لأنه الذي انتهى إليه سؤدده فكان مرجع الطلب منه وإليه).[1]

قال ابن عباس رضي الله عنه : (يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم).

وقالوا : هو السيد ، والذي لا جوف له ، ولا يأ كل ولا يشرب ، وهو الباقي بعد خلقه ، وهو المستغني عن كل أحد بذاته ، وهو الكامل الذي لا عيب فيه وهو الذي ينتهي إليه السؤدد.

وهذه الأقوال كلها صحيحة داخله في عموم معنى الصمد، فالصمد عام لذلك كله.

وبذلك ترجع حقيقة الصمدانية في حق الله تعالى : (إلى قيامه بذاته واستغنائه عن غيره واحتياج كل شيء إليه)[2]

فكل المخلوقات تصمد ’إليه بحوائجها.. الحوتِ في البحر يصمد إليه ، الطير في السماء يصمد إليه، الحجر يصمد إليه ، الشجر يصمد إليه ، الماء يصمد إليه ،حتى البهائم تصمد إليه.

---

[1] النهج الأسمى (١٠٨/٢)
[2] النهج الأسمى (١٠٢/٢)

(بكى أحد العباد حين رأى بهيمة تعسرت ولادتها وأعترض جنينها في بطنها وهي بهيمة لا تعرف أن تشتكي ولا تنطق ولا تتأوه ولكنها رفعت عينيها إلى السماء وذرفت دموعها .. صمدت لربها فبكى العابد وقال : حتى البهائم صمدت ونحن لم نصمد)[1]

يأتي السؤال المهم الذي يطرح نفسه علينا : كيف نصمد لله ؟

١ -ركيزة هذه العبودية أعني عبودية الصمدية هي دوام الافتقار للحي القيوم مع كل الأنفاس:
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[2]

هذا الافتقار يجعلك تقطع من قلبك كل أحد سوى الله لأن كل ما سوى الله فهو مخلوق .. وما دام أنه مخلوق فمن صفاته الضعف والعجز والنقص والزوال .. فمن كانت هذه صفاته فليس من الحكمة إذاً أن تصمد إليه في حوائجك ونوازلك.

علمك بصفات ربك .. فكلما كنت بصفات ربك أعلم كلما كنت له أعبد وإليه أفقر وأذل وأطوع فمن عرف ربه بالغنى المطلق عرف نفسه بالفقر المطلق ومن عرف ربه بالقدرة التامة عرف نفسه بالعجز التام .. ومن عرف ربه العز التام عرف نفسه بالمسكنة التامة.

فأكمل الخلق عبودية أعظمهم شهوداً لفقره وضرورته وحاجته لربه وعدم استغنائه عنه طرفة عين ولهذا كان من دعائه صلى الله عليه وسلم **(أصلح لي شأني كله ولا تلكني إلى نفسي طرفة عين)**[3]

فالله عز وجل لا غنى لك عنه طرفة عين ، وكل شيء أردت تحصيله فاجعل الله لك صمداً تقصده وإياك إياك أن تحط رحالك عن أحد ..

---

[1] القصة قنلاً عن ششح ا.لأيخ (خلف العزني) ششح أساءم الله الحسنى في درةو ابن باز العلمية التي أقيمت فيجدج اعم ١٤٢٥ـه
[2] فاطر (١٥)
[3] رواه ابخارلي في الأدب الفردم

أو أن تلتفت بقلبك إلى أحد ..

أو أن تتوكل على أحد ..

بل اجعله وحده مطلوبك وغايتك ومقصودك وأملأ قلبك به .

واعلم أنه ما من شعبة من شُعب القلب تعُطي لمخلوق إلا ويأتي النكد والخذلان منها ، فالعبد يبتلى بما استغنى به، وكلما أرتفع العبد بمتعلقات الدنيا اكتوى بنارها .

٢ -**قارن بين قرب الله منك وقرب المخلوقين منك** (فكل أحد هو بعيد عنك مهما كان قريباً إذا قارنت قربه بقرب الله فالله أقرب إليك من نفسك وأقرب إليك من حبل الوريد).

وقد وصف نفسه جل جلاله في كتابه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أنه "قريب" قال تعالى : ﴿ **إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾[1]

وثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فكانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير فقال: **(أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً إنما تدعون سميعاً قريباً ، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته)**

فهو قريب من كل أحد ، مجيب إجابة عامة للداعين مهما كانوا ، وأينما كانوا على أي حالٍ كانوا وهو (المجيب) إجابة خاصة للمستجيبين له المنقادين لشرعه ..

وهو "المجيب" أيضاً للمضطرين ومن أنقطع رجاؤهم من المخلوقين وقوي تعلقهم به طمعاً ورجاءً وخوفاً"[2]... فلماذا نصمد للبعيد ونترك الصمود لمن هو منا قريب؟؟

٣ -قارن أيضاً بين طلبك من المخلوقين وطلبك من الخالق ..

---

[1] البقرة ١٨٦

[2] تفسير اكرليم باسوطة المنهج الأسمى (٣٠٢/٢)

فالطلب من المخلوق يظل ثقيلاً وصعباً مهما كان هذا المخلوق كريماً محسناً.. فكثرة الطلب منه والإلحاح عليه قد توقع في نفسه الملل والسآمة منك.

بينما كثرة الطلب من الخالق والإلحاح عليه تدخلك زمرة المحبوبية .. فالله يحب المُلِحّين بالدعاء

لا تسأل بني آدم حاجة   وسل الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله   وبني آدم حين يسأل يغضبُ

ثم اجمع مع حبه جل جلاله لمن يسأله ويلح عليه حياؤه من رد من يدعوه ويطلبه قال صلى الله عليه وسلم **(إن الله حييٌ كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً)**[1]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (حياءُ الرب تعالى من عبده نوعٌ لا تدركه الأفهام ولا تكيّفه العقول فإنه حياء كرم وبرٌ وجود ، فيستحي سبحانه أن يمد أحد يديه إليه سائلاً متذللاً أن يردهما خائبتين خاليتين)... فكيف إذاً لا تصمد إليه؟

٤ -ثم تأمل كيف أن الله تبارك وتعالى غني عن عباده ومع ذلك فهو مح سن إليهم رحيم بهم وهذا من كمال غناه وكرمه ورحمته.

أما العباد فإنهم يحسنون إلى بعضهم البعض لتعلق مصالحهم بذلك إما عاجلاً أو آجلاً.

(فالمخلوق لا يقصد منفعتك بالقصد الأول بل أنما يقصد انتفاعه بك والرب تعالى إنما يريد نفعك لا انتفاعه بك .. وذلك منفعة محضة لك خالصة من المضرة ، بخلاف إرادة المخلوق نفعك فإنه قد يكون فيه مضرةً عليك ولو بتحمل منتّه).. قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً**﴾[2]

---

[1] صحيح الترغيب (١٣٥/٢)

[2] الإسانن (٩)

٥ -**والعبد المخلوق لا يعلم مصلحتك حتى يُعَرِّفه الله إياها** ، ولا يقدر على تحصيلها لك حتى يقدره الله تعالى عليها ، ولا يريد ذلك حتى يخلق الله فيه إرادة ومشيئة فعاد الأمر كله لمن ابتدأ منه ، وهو الذي بيده الخير كله وإليه يرجع الأمر كله .. فلماذا تتوجه القلوب وتصمد لغيره؟

وجماع هذا أن تعلم :

(أن الخلق كلهم لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا كلهم على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى عليك)[١] .

إذاً هذه المعاني إن فهمتها وعقلتها وأدركت أبعادها تربيك على الصمدية لله تعالى في صغير الأمر وكبيره..

قال ابن سعدي رحمه الله في قول "الله الصمد": (أي المقصود في جميع الحوائج فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار يسألونه حوائجهم ويرغبون إليه في مهماتهم).

قيل عن رجل من بني إسرائيل : أن له صنماً يبعده منذ ثمانون عاماً فمرض له ولد فكان يطوف بصنمه ويقول : يا صنم اشف ولدي ، ويكررها يا صنم اشف ولدي وما شفي ولده !! وأخطأ ذات مرة فقال: يا صمد اشف ولدي فشفاه الله .. فقالت الملائكة : يا رب عبدك مشرك لا يدعوك وإنما يدعو صنماً يعبده من دونك ، فقال الله عز وجل : "**وهل في الوجود صمد غيري** "[٢] ..

انظر وتأمل إذا كان الله استجاب لكافر قد أخطأ بلسانه ولم يقلها وهو صادق معتقدٌ بها ، ومع ذلك أجاب الله صموده ، فما بالك بمن توجه إليه الله بقلبه وقالبه مخلصاً مضطراً ونادى وقال : يا صمدْ .. فهل يرده الله ؟ مستحيل أن يردّه.. فمن كان لله كان الله له، والله عز وجل لا يخيب عبداً أحسن ظنه به وصمد إليه وفزع إليه، وبث شكواه وحاجته إليه.

---

[١] حديث صحيح أخرجه احمد اولترمذي ... (النهج الأسمى بتصرف ٢٢٩/٢)
[٢] القصة أخمتذو من شرح فضيلة . الشيخ محمد علي الشقنيطي في تفسيره لسرةو الإخلاص

لكننا فقط نحتاج إلى يقين .. فنحن ما أوتينا إلا من قلة يقيننا ومن فساد قلوبنا .. ما ضرنا إلا عدم معرفتنا بربنا ، وعدم ثقتنا به.

فلو أننا عرفنا ربنا حق المعرفة : لأيقنا بالإجابة ولأيقنا بالفرج ، ولأيقنا بالعطاء وبالنصر .. وبعظيم الخلف وعظيم العوض .. ولكن البلاء فينا والمرض فينا، وفي عجز قلوبنا وفي سوء ظننا بربنا وصدق ربي إذ يقول: ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ** ﴾..

- خرج موسى عليه السلام بقومه ، البحر أمامهم وفرعون وجنوده خلفهم ، فقال قومه : " إِنَّا لَمُدْرَكُونَ " ، لا شك ولا ريب فإن لم يهلكنا البحر فسيهلكنا فرعون وجنوده..

ولكن موسى عليه السلام ما تزعزع يقينه بربه ، ولا قل ولا نقص .. رد عليهم بعبارة الواثق بربه فقال﴿**كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴾..

أمام هذا اليقين العيظم جاءت الإجابة فريةو .. في لحظات .. في ةفرط عين أصبح البحر أرضاً يابسة..! قال تعالى ﴿ **أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ** ﴾.. بماذا تحول وبماذا تبدل؟ بالثقة بالله ، باليقين بالله ، بقوة العقيدة بالله ..

قال صلى الله عليه وسلم **(القلوب أوعيه بعضها أوعى من بعض فإذا سألتم الله عز وجل فسألوه وأنتم موقنون بالإجابة فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل)**[1]

انظر لزكريا عليه السلام لما دخل المحراب على مريم ورأى الرزق عندها وهو لم يقدمه لها : "قال يا مريم أنىّ لك هذا ؟ .." فأجابته: "قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب"

هذا العبارة التي قالتها مريم : "إن الله يرزق من يشاء بغير حساب" أطمعت زكريا في ربه .. زادت يقينه:

بأن الله يعطي بغير حساب

وأن الله يعطي بدون أسباب

[1] صحيح الترغيب (١٦٥٢/٢)

وأن الله يعطي هبة من عنده وإن عزت الأسباب .. أو فقدت الأسباب..

فلما عظم يقينه وارتفع طلب من ربه ولداً بالرغم أنه لا يملك مؤهلات الطلب فهو كبيرُ في السن ، وامرأته عاقر ، لا يمكن أن تنجب في المنطق البشري القائم على الأسباب

وهذه قمة العجز في الأسباب ومع ذلك دعا ربه قائلاً ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ وقطع نظره في كل الأسباب ووضع أمله كله في الله .. واستوهب ربه والهبة : عطاء من الله بلا مقابل .. فانظر كيف جاءت الإجابة .. قال تعالى ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى ﴾ لم تنتظره الملائكة حتى ينتهي من صلاته ويخرج من حرابه

بل بشرته وهو مازال قائم فيه ..!!

لتعلم يقيناً :أن اللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ..

ولتعلم أن الله إن فتح لك باب رحمة فلا يستطيع كائناً من كان من البشر أن يغلقه عليك ..

وأن العطاء إن جاء من عند الله فلا تسأل عنه لأنك لن تدرك سعته وعظمته وقدره : ﴿ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ فهذا زكريا عليه السلام بعد أن وهبه الله الولد أفاض عليه بنعمة أخرى وهي تسميته ؛ فإن كان كل الآباء يسمون أبناءهم فإن الله تعالى قد سماه له وكان أول إنسان يحمل هذا الاسم فلم يسم به أحد من قبل: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾

ثم تأمل اسم "يحيى" الذي اختاره الله عز وجل وكأنه يشير أن هذا المولود لا بد أن يحيا حياة متميزة وقد قال بعض المفسرون : (إنه اسم مشتق من الحياة فهو حيٌّ في قلبه وحيٌّ في روحه وإيمانه ، إذ لم تمت المعاصي والذنوب قلبه كما أماتت كثيراً من ولد آدم .. وحيٌ لأن الله أحيا به رحم أمه .. وحيٌ لأن الله أحيا به الناس بالهدى ..

ومن ثم يقتل هذا النبي شهيداً .. وهو بالشهادة أيضاً يصير حياً فكأنه يحيى دائماً ، فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ..

هذه القصة تعلمك درساً عظيماً في اليقين بالله وتقوي عبودية الصمدية قي قلبك وتجعلك تعيش مع هذه المقولة بفهم دقيق فقد قيل في الحكمة قديماً : (من كان له أبٌ فلا يحمل هماً. فكيف إذاً بمن له رب)؟

فكيف إذاً بمن له رب؟ السماءُ سماؤه والأرض أرضه وما بينهما في قبضته ..

فكيف بمن له ركناً شديداً يأوي إليه ..

فكيف بمن له رباً صمداً يقصده وينطرح بين يديه .. هل يحمل هماً ؟؟؟

هل يشرّق ويغرّب أو يظل يدور حول نفسه كلما استصعب عليه أمر أو أُغلق عليه باب؟

من فهم معنى اسم الله "الصمد" وعرف حقيقة هذه الصمدية سيختصر الطريق على نفسه كثيراً ..

وسيجعل الله عز وجل قبلة قلبه .. وسيجعله همهُ وطلبه ورغبته ومقصوده وهذا هو الصمود لله إنه من أرجح المكاسب للعبد ، فهو كسب دنيوي في غاية النفاسة .. وكسب أخروي غاية في العلو والارتفاع ..

لماذا هو أرجح المكاسب ؟؟

لأن من أعظم الدلائل التي تشير على تحقيق التوحيد ەو دعاء الله في كل آن وفي كل حين ، دعاء مسألة ، ودعاء عبادة .. دعاء بالحال ودعاء بالمقال ..

فالعبد إذا تحقق وتيقن أن الله قادر على كل شيء فانه يكثر ويلح في دعائه .. وكلما ضعف يقينه قل دعائه ، وقل إلحاحه وقل سؤاله لربه.

وإذا كانت الجنة تنال بالتوحيد فمن باب أولى غايات الدينا وأماني الدنيا مهما كانت ، ومها تعددت تنال بالتوحيد أيضاً فبالتوحيد تتحقق الغايات.

ما من عبد صادق في توحيده ، وصادق في ذله ، وانكساره وانطراحه بين يدي ربه ، وصادق في يقينه ولجأه وحسن ظنه ثم يخذله ربه أو يخيبه حاشاه جل جلاله .. فمن صدق مع الله صدقه الله ..

يقول يوسف بن أسباط (ما صدق الله عبدٌ إلا صنع له) ، بمعنى يسر الله له مطلوبه ..

بل إن هذا العبد الصادق لو اُطبقت عليه السموات والأرض بكل ما فيها سيجعل الله له من بينها فرجاً ومخرجاً !!

فإن كنت تريد أن ترى نموذجاً حياً أمامك لعبد أطبقت عليه الأبواب وأُغلقت فعش مع كعب بن مالك رضي الله عنه في سورة التوبة بعد عودة رسول الله من غزوة تبوك التي تخلّف عنها كعب فهجَرَهُ رسول صلى الله عليه وسلم وصحابته وكل أهل المدينة لا أحد يكلمه بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

يقول كعب عن نفسه : (فأتي وأسلم على رسول الله ولم أدر أَحرك شفتيه بالسلام أم لا ، وإذا كنت أُصلي نظر إليّ بعينيه "يعني رسول الله " فإذا نظرتُ إليه أعرض " ويمر على ابن عمه أبا قتادة رضي الله عنه فيسلم عليه فلا يرد عليه السلام طاعة لله ورسوله وكان أبو قتادة من أحب الناس إليه فبكى كعب ابن مالك وأخذ يلحق بابن عمه ويقول : أنشدك الله هل تعلم أني أبغض الله ورسوله فسكت ابن عمه ولم يجب ، أعادها عليه ثانية فسكت ، ثم أعادها ثالثةً ، فقال : الله أعلم .. فرجع كعب بدموعه وضيق نفسه وما لبث إلا أن تأتيه رسالة من ملك الروم ابتلي بلاء عظيم فوق هذا البلاء الذي هو فيه : (بلغَنا أن صاحبك قد جفلكَ فالحقْ بنا نوُاسِكِ : ... فيقول كعب : فقلت هذا من البلاء فأخذ الورقة إلى التنور وأحرقها ، أمام كل هذا الألم والعناء النفسي والضيق الذي وصفه الله عز وجل في باتكه : ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ الأرض على سعتها ومروجها وسهولها ضاقت عليه وعلى صاحبيه ، واجتمع ضيقها مع ضيق صدورهم عليهم وياله من ضيق ؟؟ حتى إن ضيق المكان أحياناً يهون أمام ضيق الصدر وإطباقه على صاحبه !! فأين سيفر الإنسان من صدره الذي بين جنبيه؟))

لكن كعب بن مالك نجح في الابتلاء ، قدم الله على مغريات الدنيا ، لجأ إلى الله وانطرح بين يديه ينتظر الفرج من عنده ..

فما هي إلا ليالي معدودات بعد كل هذا الضيق وبعد كل هذا الإغلاق فإذا بالمنادي ينادي يا كعب بن مالك أبشر .. فقد فرج الله عنك ..

ابشر .. فقد تاب الله عليك ..

أبشر .. فقد استجاب الله دعاءك

لقد كان العطاء والفرج فوق ما يتصور كعب رضي الله عنه وفوق ما يتخيل..

فالعبد الفقير الذي نصب فقره بين عينيه ونفسه عنده أصغر وأذل من أن ينزل فيها قرآناً يتلى كما قالت هذا السيدة عائشة رضي الله عنها حينما نزلت براءتها بوحي من السماء ولكنه عطاء الله ونصر الله وفرج الله .. !

ومن أتقن عبودية الافتقار والصمدية ، وداوم عليها وأكثر من طرق باب سيده ليس فقط يجعل له فرجاً ومخرجاً بل يجعل الله فرجه من نفس الطريق الذي أُغلق عليه ، وعلى يد نفس الأشخاص الذين دبروا له أو عارضوه أو كادوا له ..

إخوة يوسف عليه السلام أرادوا التخلص من أخيهم حسداً وخوفاً من علو مكانته عند أبيهم فدبروا له تلك المكيدة فجعل الله تدبيرهم الذي دبروه هو بذاته السبب والطريق الذي أوصله لعزيز مصر ، وعلو مكانته عنده ..

فتأمل وتدبر لتعلم أن لك رباً عظيماً قادراً علياً سبحانه وبحمده .. له علو الذات ، وعلو الصفات ، وعلو القهر .. يفعل ما يشاء .. يحكم ما يريد .. لا ينازعه أحد في سلطانه .. ولا يُعجزه شيء .. إنما إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ..!

فسبحانه الواحد الأحد الفرد الصمد لا مثيل له ولا ند له ولا نظير ولا صاحبة ولا ولد ولا شريك .."ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"

طريقك لتحصيل هذا اليقين : أن تستحضر صفات الكمال التي وصف الله بها نفسه في كتابه، ثم ترددها على لسانك وفي دعائك كثيراً مع كثرة ترداده ا وحضور معانيه ا يزيد يقينك بربك..

فتقول : يا رب أنت قلت وقولك الحق : "والله يفعل ما يريد"

وأنت قلت وقولك الحق " والله على كل شيء قدير"

وأنت قلت وقولك الحق : ﴿ **إنما أَمْرُهُ إذَا أرادَ شيئاً أن يقولَ لهُ كُنْ فيكون** ﴾..

يا من جمعت بين يوسف ويعقوب ويا من رددت موسى إلى أمه ..

يا من جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم ..

يا من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ..

يا من لا يتعاظمه شيء أن يعطيه .. وهكذا ..

هذا الاستحضار لصفات الله والدعاء وأن الدعاء بها يوصلك إلى استكانة القلب.

اسم اللّه (الرب)

الرب تطلق في اللغة على خمسة معاني :

(المالك) ومنه قول عبد المطلب لأبرهة : "أنا رب الإبل وللبيت رب يحميه"..

(الملك) ومنه قوله تعالى :﴿ ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ فَسئَلْهُ مَا بَالُ النِّسوَةِ الّتى قَطعْنَ أَيْدِيهُنَّ﴾

(السيد المطاع) قال تعالى : ﴿ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ﴾.. ولقول النبي رضي الله عنه **(لا تقولوا للمنافق سيداً فإن السيد هو الله).**

(الإله المعبود) ومنه قوله تعالى : ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَهُ الْوَ حِدُ الْقَهَّارُ ﴾..

(المصلح للشيء) ويقال : رب الشيء أي : أصلحه .. ومنه قوله : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾..

الربانيون : هم الذين يغذون الناس بالحكمة ، ويربـونهم عليها .. أي المصلحين للناس .. فالربانية : هي الإصلاح ..

وهذه المعاني الخمسة كلها يجوز إطلاقها لله عز وجل فالله جل جلاله هو : الملك وهو المالك وهو السيد المطاع وهو الإله المعبود ، وهو المصلح للشيء بعد فساده ، فهو الذي يصلح أحوال العالم كلها بما يشاء وكيفما يشاء ..

ورد هذا الاسم في القرآن كثيراً .. وهو لفظ مستقٌ من التربية ..

يقال : رب فلان صنعته يربها رباً إذا أتمها وأصلحها ..

والمعنى أن الله عز وجل مدبر لخلقه ، ومالكهم وسيدهم ومربيهم ومصلحهم ومنعهم عليهم..

فلو قيل كيف يربي اللّه خلقه ؟

تربية الله لخلقه نوعان

تربية عامة | تربية خاصة

التربية العامة :

كل الخلائق يدخلون في هذه التربية .. فهو الذي خلقهم وأمدهم ودبرهم بما فيه صلاح ذواتهم وأجسادهم ومعاشهم ..

فالشمس تشرق على الكافر والمؤمن ، والمطر ينزل على الذين يعبدون الله ويعبدون الأوثان، الهواء يتنفسه من قال لا إله إلا الله ، ومن لم يقلها .. كل هذا العطاء هو "عطاء الربوبية"..

وأركان هذه الربوبية قائمة على :

(الخلق – والملك – التدبير – والعلم) ..

وهي مبينة على رحمته الواسعة الشاملة التي تعم جميع خلقه ، وتسع جميع عباده .. ويدل عليها اسم (الرَّحْمَنُ) قال تعالى : ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ **ومنه قوله تعالى** : ﴿**الرَّحْمَنُ** (١) **عَلَّمَ الْقُرْآنَ** (٢) **خَلَقَ الإِنسَانَ** (٣) **عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** (٤)﴾ .

التربية الخاصة :

تبنى هذه التربية على رحمته الخاصة الواصلة لمن اصطفاهم ، وخصهم من خلقه وهم المؤمنون ، فالرحيم على وزن فعيل ، وفعيل تفيد الديمومة والاستمرار ..

بمعنى أن رحمته بالمؤمنين هي رحمة دائمة مستمرة لا تنقطع أبداً .. فالمؤمن مرحوم في حياته ، ومرحوم في قبره ، ومرحوم عند حشره ، ورحمة الله ملازمة له في كل أحواله .

حقيقة هذه التربية الخاصة :

هي تربية التوفيق لكل خير والعصمة من كل شر ..

أي أن الله جل وعلا يرحمهم برحمة فيها لطف، فيسوق لهم الخير بصورة قد لا يتصورون أنها خير لهم ..

وقفة مع تربية الله لعباده:

(١) أول ما يجب أن تتيقن به هو أن تربية الله لعباده لا تعدلها تربية أحد من البشر كائناً من كان

فالله يربي عباده بما يجري عليهم من الأقدار مهما كانت هذه الأقدار في نظرهم أنها مؤلمة وشاقة وقاسية وفيها من الفقد ما فيها .. وفيها من المنع ما فيها إلا أنه يسوق لهم مصالحهم فيها من حيث لا يحتسبون ولا يشعرون ..

أي أن صورة الرحمة في هذة التربية الخاصة (رحمة فيها لطف) .. فيسوق لهم الخير وهم لا يتصورون أنه خير ..

الإشكال أن معنى الرحمة طبع في أذهاننا بأنه العطاء ؛ وتتابع النعم .. بينما رحمة الله تتنوع على عبده فقد يرحمه فيعطيه .. وقد يرحمه فيبتليه .. قال تعالى : ﴿ **وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾.(الأنبياء ٣٥)

فالله حكيم عليم ، لا يفعل شيئاً عبثاً ولا يقدر شيئا سدى ..

كم مُنع الإنسان من لذات وأمنيات يشتهيها ما علم أن الله بمنعه إياها يرفع درجاته ..

كم حُرم مما أحب وما علم أن الله قد حرمه من أجل أن يصلح قلبه ..

كم اُبتلي بمكروه في نفسه أو بدنه أو ولده أو زوجه وكان هذا الابتلاء سبباً في استقامته ، ورجوعه لربه .وسبباً في صلاح حاله .. وتنمية حسناته .. وتكفير سيئاته .. وهذا هو لطفه..

امف من قدر لزنـ على البدعـ إ لا طفـ ـهيفولـ فـ للهللهللهلله لله يفنك عن طفله ا فطلولله لله يفنعك عللهللهلله ،
علمه من علمه ، وجهله من جهله .. فربنا يقفـ لوي مـ كـم ....ـه : ﴿ **اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ** ﴾.

(٢) وأنت في طريق فهمك لتربية الله تمت حقيقة يجب أن لا تغيب عن ذهنك أبداً .. وهي أن العبد لا بد أن يُبتلى فالابتلاء من سنن الله في الكون .. ﴿ **الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ** ﴾..

وليست العبرة بالابتلاء العابر البسيط الذي سرعان ما يزول .. وإنما العبرة بتكرار الاختبار وبتكرار الابتلاء وتقلبه فيه حتى يظهر معدنه فكما أن الذهب يجرب بالنار ،.. فالعبد الصالح يجرب بالبلاء ..

والله عز وجل إذا أراد بعبده خيراً ومضي في الطريق؛ قلبه في أمور الدنيا وفي الابتلاءات حتى يشتد عوده ..

تأمل معي قصة موسى عليه السلام لتدرك هذا المعنى جيداً ..

فانظر للأقدار التي تقلّب فيها موسى منذ ولادته..

انفصاله عن أمه، إلقاؤه في اليم وهو طفل رضيع .. وهذا مظنة هلاكه ولكنه يصبح عين نجاته بأمر الله .. يأمر الله البحر أن يقذفه على الساحل قريباً من قصر فرعون حتى يحيا موسى بالرغم من أن فرعون كان يقتل الأولاد الذكور من بني إسرائيل خوفاً على ملكه .. ولكن الله إذا أراد شيئاً هيأ أسبابه ..

لما أراد الله أن يحيا موسى هيأ السبب فقذف في قلب زوجة فرعون محبته ، فقالت " قرة عين لي ولك لا تقتلوه .. "

والقلب مخلوق جندي من جنود الله لا يملك إلا أن ينفذ ما يأمره الله به ، بإرادة الله تربى موسى في قصر فرعون فلما أصبح شاباً حصلت حادثة قتله لذلك القبطي "من أهل مصر" ففر هارباً خائفاً لا يعرف إلى أين فهو لم يخرج من مصر قبل ذلك!

وصل إلى أرض مدين ، ومدين كما يقال أنها "تبوك" اليوم ، وهذا يعني أنه مشى حافياً على قدميه ما يقارب الألف كيلومتر ليس معه أحد ولا يأكل إلا ورق الشجر .. وصل إلى ماء مدينَ وسقى للمرأتين وبقي في مدين عشر سنوات يعمل عند والدهما ..

ثم خرج من أرض مدين عائداً إلى أرض مصر في ليلة مظلمة باردة .. شاتية .. ومعه أهله. يضل الطريق بقدَر الله فيرى ناراً اَنِسَ برؤيتها لأنه شعر بوحشة وخوف في هذه الليلة المظلمة .. فقال لأهله : امكثوا ! إني أنست ناراً لعلي ءاتيكم منها بقيس "أي بشعلة تستدفئون بها" أو أجد عند النار من يدلني على الطريق .. فلما وصل عندها .. ما الذي وجده؟؟

نودي يا موسى إني أنا ربك ..

تأمل ..

عبدٌ .. مخلوق .. ضعيف .. ضلّ طريقة في ليلة باردة شاتية .. ذهب يبحث عن نارٍ يستدفيء بها .. ثم عاد وهو كليم الله !!!

أيّ منزلة رفيعة .. وأيّ منة عظيمة جليلة تحصّل عليها بعد أن تقلب في كل هذه الأقدار و الابتلاءات.

(٣) واعلم أيضاً أن الله إذا أراد أن يهبك منزلة .. أهلك للوصول إليها .. إما بالفقد .. أو بالعطاء .. وكلما كانت المنزلة أرفع كلما كان البلاء أعظم ..

أبو الأنبياء وسيد الحنفاء إبراهيم عليه السلام الذي مدحه ربه أنه صاحب قلب منيب .. " إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ " .. صاحب هذا القلب الذي مليء رأفة ورحمة ورفقاً ..

هذا القلب الرحيم الذي يرحم الناس أجمع حتى إنه من رحمته يكاد يمسك الملائكة أن تعذب قوم لوط ..

بماذا أبتلي؟

"اذبح ولدك" .. وأي ولد هذا؟ ولد أتاه على كبر .. وبعد شوق ورغبة ودعاء وتضرع ، وبعد أن شب وأحبه أبوه حباً شديداً وتعلق قلبه به .. جاء الابتلاء الشاق .. حتى أن الله سماه "إن هذا لهو البلاء المبين"، الذي أظهر صدق إبراهيم رغم شدته فلما استسلم إبراهيم لربه ، وانقاد لأمره ونجح في الاختبار، جاءته البشرى .. ﴿ **وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ. وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ. سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ. كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ. وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ** ﴾..

واستحق أن يكون خليل الرحمن ، ويحظى بمنزلة الخلة ..

انظر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابه في الحديبية .. حين أراد الله أن يمكن لدينه ويدخل الناس في دين الله أفواجاً .. وأراد أن يعطي رسوله صلى الله عليه وسلم تلك المنقبة العظيمة التي لا يشاركه فيها أحد من العالمين ﴿ **لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تأَخَّرَ** ﴾..

حين أراد الله أن يمن عليهم بغنائم دنيوية أخرى أكبر من مجرد دخولهم مكة ليعتمروا ..

لما أراد الله لهم كل هذه العطاءات والمنازل أجرى عليهم قدره .. وإن كان في ظاهره أنه محنة وبلاء شديد أصاب المسلمين فأحزنهم .. وآلمهم .. وشعروا بالمهانة والذل .. وانتصار المشركين عليهم إلا أنهم حين صبروا واستسلموا ورضوا بقدر الله .. توالت النعم عليهم ..

ومن هذا نخرج بفائدة عظيمة ..

أن كل من قبل تربية الله له ، ورضي عن فعل الله فيه .. توالت عليه النعم ..

وأنت تتربى بتربية الله لك لا بد أن تفقه أمراً مهماً.. بأنه سبحانه إذا سد عليك بحكمته طريقاً فتح لك برحمته طريقاً آخر هو أنفع لك ..

يقول ابن القيم رحمه الله :

(تأمل حال الجنين في بطن أمه يأتيه غذاؤه من طريق واحد ، وهو السرة ولما خرج من بطن أمه انقطعت تلك الطريق ، ولكن فتح الله له طريقين اثنين وأجرى له بهما رزقاً أطيب وألذ من الأول .. لبناً سائغاً خالصاً ..

وإذا تمت مدة الرضاع انقطع هذان الطريقان بالفطام ، ففتح الله له أربعة طرق طعامان وشرابان ..

وإذا مات انقطعت هذه الأربعة فأن كان سعيداً فتحت له ثمانية وطرق هي أبواب الثمانية يدخل من أيها شاء).

فتأمل ..

كيف يفهم العبد تربية الله له بالعقوبة التي تنزل عليه بعد الذنب ؟؟

وكيف يفهم لطف الله في هذه التربية ؟؟

أولاً :

يعلم يقيناً أن ربه لم يظلمه ، بل هو سبحانه جل جلاله حكمٌ عدل .. قدوس منزه عن العيوب والنقائص والظلم .. وإنما عامله بعدله وهو مستحق لما نزل به .. ﴿ **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾..

ثانياً :

وأن حكمته ظاهرة في عدله، فالله عز وجل حكيم يعاقب عباده بما ينفعهم وبما يطهرهم وبما يصلح أحوالهم فينظر للعقوبة أنها رحمة ما أراد الله بها إلا إصلاحه ..

ثالثاً :

يقبل تربية الله له ولا ينظر للقدر من زاوية واحدة فقط .. وهي زاوية العقوبة والألم، وإنما ينظر للقدر بتعدد الحكم، حتى يرى لطف الله ورحمته به ..

فيه وإن كانت عقوبة إلا أن الله أعطاه معها الكثير من الفضائل، فهي تطهير وتمحيص، وتكفير .. ورفعة حتى ينتقل للآخرة وما عليه ذنب ..

يقول صلى الله عليه وسلم :**(ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة)**..

ويحمد الله أن عجلها له في الدنيا ولم يؤخرها له .. فعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، بل لا مقارنة بينهما ..

قال صلى الله عليه وسلم : **(إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة)**

وكل ما قبلت تربية الله لك أراك الله آثار رحمته ، آثار لطفه بك ..

رابعاً:

إذا اختار العبد أن ينظر للقدر على أنه نقمة ، فسيكون عليه نقمة !! فالمعاملة تدور مع الظن كما قال المناوي رحمه الله [1] والله يعامل عبده بما ظن فيه فمن حسن ظنه بربه وفىّ له ما ظن وأمّل ومن تشاءم وأساء الظن فالعقوبة إليه سريعة والمقت له كائن لقول الله عز وجل: "أنا عند ظن عبدي بي إن خيراً فخير وإن شراً فشر " إن ظن بي خيراً فله ما ظن وإن ظن أني أفعل به شراً فله ما ظنه

عاد الرسول صلى الله عليه وسلم إعرابياً كان يتلوى من شدة الحمى فقال له النبي ص لى الله عليه وسلم مواسياً مشجعاً له على احتمال المكروه الذي نزل به "**طهور**" ولكن الأعرابي رد قائلاً : (بل هي حمى تفور ، على شيخ كبير لتورده القبور)..

فقال النبي رضي الله عنه : **فهي إذن** .. أي كما تظن ..

ثمرة معرفة هذا الاسم :

١) أن يعلم أن لا رب له على الحقيقة إلا الله وحده

٢) أن يجعل له حظاً من التخلق بهذا الاسم فيحسن تربية من جُ علت تربيته إليه ، بأمره ومصالحه كما قال الحق به، فيرقيه شيئاً شيئاً، وطوراً طوراً.

٣) أن يوحد ربه ويدعوه باسمه الرب ، وأنت تلحظ أن غالب دعاء الأنبياء الذي ورد في القرآن جاء بإسمه (الرب).

[1] الدءازج من جنس العمل (٢٤٨)

دعا آدم عليه السلام وحواء به ﴿ **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين**﴾ (الأعراف ٢٣)

دعا به نوح عليه السلام ﴿ **ربّ اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتيَ مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات** ﴾ (نوح ٢٨)

دعا به ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ﴿ **وإذ يرفعُ إبراهيمُ القواعدَ من البيتِ وإسماعيل ربنا تقبّل منا إنك أنت السميع العليم**﴾ (البقرة ١٢٧)

دعا به عيسى عليه السلام ﴿ **اللهم ربنا أنزِل علينا مائدةً من السماء**﴾ (المائدة ١١٤)

اسم اللّه (الرحمن الرحيم)

اسمان من أسماء الله تعالى ، مشتقتان من الرحمة .

قال صلى الله عليه وسلم (**قال الله تعالى أنا الرحمن خلقت الرحم وإني للرحم من اسمي، فمن وصلها وصلتهُ ومن نكثها نكثته)**[1] .

قال ابن عباس رضي الله عنه: "هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر: أي أكثر رحمة".

والرحمة : هي الصفة التي وصف بها ربنا نفسه واستوى بها على عرشه وكتبها على نفسه وبذلك تكون هذه الصفة هي أهم صفاته جل جلاله ويكون هذا الاسم الذي يحمل تلك الصفة أهم أسمائه.

قسمت هذه الصفة بين اسمين؛ الأول: "الرحمن"، والثاني "الرحيم" وذلك لانقسام الناس في باب الرحمة.

فرحمة الله واسعة وسعت كل شيء ولكنها تصل إلى بعض ويحرم منها البعض ، فأصبحت الرحمة تتضمن أمرين:

الأول: السعة والشمول والثاني: الوصول.

"فالرحمن" دل على الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات فم ا من أحد إلا وهو يتقلب في رحمة الله آناء الليل وأطراف النهار..

ويدخل في هذه الرحمة الخلائق أجمع إنسهم وجِنهم مؤمنهم وكافرهم، البهائم ، الدواب ، وكل الخلق.. العاصي وهو يعصي يرتكب معصيته ، متلبس بمعصيته مازالت رحمة الله تحيط به ، مازال يتنفس، وما زالت الرئة تعمل والكلى تعمل والكبد تعمل وأعضاءه كلها تعمل.. مازال الله يرحمه .

---

[1] رواه البزار اسلإلانه حسن قنلاً عن ضرةنذ النعيم

الجنين في بطن أمه وهو في ذلك المكان المنقطع المظلم تحفه رحمة الله ويأتيه غذاؤه.

النُّعّب (فرخ الغراب) وهو في عشه قد تركه أبواه وأنكره لأنه خرج أبيضاً لا يشبههما يسوق الله له برحمته نوع من الدود يقف على منخاره فيلتقمه ويقتات عليه حتى يسودّ ريشه فيرجع إليه أبواه فيألفانه ويلقطانه الحب ... رحمه ربه وساق له رزقه

البهائم ترفع حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه، الوحوش والسباع تعطف على أولادها ، من الذي بث الرحمة بين عباده ومخلوقاته منها يتعاطفون وبها يتراحمون إنه الله الرحمن الرحيم

ودعنا أيها القارئ نعيش مع ه ذه الأم لتتجلى لك رحمة الله .. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبي فإذا امرأة من السبي تحلّب ثديها تسق ي، إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم :"**أترون هذه طارحة ولدها في النار** " قلنا : لا وهي تقدر على أن لا تطرحه فقال : "**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**".

أم فقدت رضيعها في السبي ، تحلّب ثديها أي امتلأ ثديها بالحليب ، ولا يخفى عليك الألم الذي تشعر به الأم من تجمع اللبن في ثديها ..

اجتمع على هذه الأم ألمان ألمٌ جسدي وهو تحلب اللبن في ثديها وألمٌ نفسي – وهو الأشد – بفقدها لرضيعها.

(تحلب ثديها تسقي) يقول بعض الشراح لهذه العبارة من الحديث : (انه من شدة الألم الذي في هذه المرأة ما عادت تصبر وكأنها فقدت عقلها فأي طفل رضيع تج ده في السبي تأخذه و تحتضنه وكأنه ابنها فتعطيه شيئاً من لبنها ليخف الألم عنها ثم تعطي طفلاً آخر وهكذا .. حتى وجدت ابنها .. (فألصقته بصدرها) .. وتأمل لم يقل حضنته أو وضعته أو حملته ، قال : "ألصقته بصدرها " وهذا أشد ما يكون من الضم والحضن والرحمة والشفقة بطفلها فأسقته لبنها..

أمام هذا المنظر المعبر والمؤثر ورسولنا صلى الله عليه وسلم أعظم مربي لأصحابه سألهم :"أترون أن هذه الأم – مع كل هذه المحبة العظيمة – يمكن أن تلقي بطفلها هذا الذي ألصقته إلصاقاً بصدرها أيمكن أن تطرحه في النار ؟"

قالوا : لا يا رسول الله

قال صلى الله عليه وسلم :" لله أرحم بعباده من هذه بولدها ".

مهما قدّرت أن إنساناً فيه رحمةً بك وعليك فاعلم يقيناً أن رحمة الله بك أكبر من أي رحمة..

وأعظم من أي رحمة .. وأوسع من أي رحمة ..

فالله لاق عن فنسه ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾، ﴿ **رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ** ﴾، ﴿ **فَانظُرْ إِلَىَ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ** ﴾ وفي الحديث : "سبقت رحمتي غضبي"[1] فالمسبوق لابد لاحق وإن أبطأ وفيه حكمة لا تناقضها الرحمة فهو أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين .[2]

الرحمة هي باب الله الأعظم الذي من طرقه فتح له ..

وهو أوسع الأبواب على الإطلاق.

أما الرحمة الخاصة الواصلة وهي التي أشار إليها اسم "الرحيم":

اختص بهذه الرحمة المؤمن وحرم منها الكافر .. فربنا تبارك وتعالى يقول : "وكان بالمؤمنين رحيماً" ولم يقل رحماناً .. وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ(٣٠)نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ(٣١)نُزُلا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ(٣٢)** ﴾.. ولم يقل نزلاً من غفور رحمان ..

وقد تقدّم الكلام عن اسم الله الرحيم في التربية الخاصة.

---

[1] متفق عليه

[2] الجامع لأساءم الله الحسنى ص١٤٤

وقفة مع (آثار هذين الأسمين على العبد في حياته وكيف يتربى بهما ؟)

١. أن الإنسان كلما قرأ الفاتحة وردد على نفسه أن الله هو "الرحمن ، الرحيم" ، وأنه قد كتب علي نفسه الرحمة وأن رحمته سبقت غضبه .. وفهم وفقه مدلول هذه الرحمة ومعناها بأنها شاملة تشمل تفاصيل حياته .. واصلة تصل إليه في أي مكان وعلى أي وضع وتحت أي ظرف .. هذا كله يجعله يعقد عزمه على إرادة الدخول في رحمة ربه ، ويكرر طلب هذه الرحمة لأنه محتاج لها ، بل هو أفقر ما يكون إليها .. فيطلبها فقراً وذلاً وإلحاحاً .. "يا رب تغمدني برحمتك"..

٢. ومن جهة أخرى استشعاره بهذه الرحمة يجعله ينظر لربه بعين الرجاء دائماً .. يجعله يؤمل في ربه كثيراً .. ويثق برحمته انه لن يخذله ولن يسلمه ولن يطرد ه إن هو عاد إليه .. مهما استعظم العبد ذنوبه ومهما أيس من نفسه ..

حتى وإن كان له ذنب هو مقيم عليه سنين من عمره ، حتى وإن كان له ماضياً سطّر فيه ما سطر .. كل هذا يدفعه بيقينه وثقته برحمة ربه الواسعة الشاملة الواصلة التي لا تنقطع عن عباده أبداً..

ها هو الحجاج وهو يحتضر ، لما عاين الموت وسكراته وزفراته بدأ يستدر رحمة ربه رغم أنه سفك من الدماء ما سفك ، لكنه لم يبق أمامه إلا رحمة ربه فأخذ يقول "يا رب ارحمني فإنهم يظنون أنك لا تفعل"

الله أكبر ما أعظمه من توسل، وما أعظمه من رجاء خاصة إذا قاله العبدُ وهو مقبلٌ على ربه.

وكان من دعاء عمر بن عبد العزيز رحمه الله (اللهم إن لم أكن أهلاً لرحمتك فإن رحمتك أهلٌ أن تبلغني ، رحمتك وسعت كل شيء وأنا شيء فلتسعني رحمتك يا أرحم الراحمين)

(٤) وأعظم ما ترحم به نفسك أن تزكي نفسك .. فالله مدح من كان هذه عمله .. قال تعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا** ﴾ وأن ترتقي بها إلى الكمال ، وتشَرفُ بها إلى المعالي ، فلا يرضي بالدون إلا دني .. فقد قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه : "**إن الله تعالى يحب الأمور ويكره سفسافها**"[١].

[١] رواه الطبراني صوححها لألباني (علو الهمة١٣٠)

صحيح أننا لا نفترض الكمال – فالكمال عزيز – ولكن على الأقل يصبح الكمال هدفاً من أهدافك تسعى لتحصيله والوصول إليه ، والذي يريد المعالي ويطلب المجد لابد أن يأخذ بأسباب المجد..

ألـــم تر أن الله قـــال لـــمريـــم إليك فهزي الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزها جـنته ولكن كل شيءٍ لـــه سـبب

ومن هنا كان لزاماً أن تتعب على نفسك كثيراً فتؤدبها وتهذبها وتصقلها حتى تصل بها إلى مقصودك وغايتك .. فكل رقي وكل صعود يحتاج إلى تعب وعناء .. والمصالح والخيرات واللذات والكمالات كلها لا تنال إلا بحظ من المشقة ولا يعبر لها إلا على جسر من التعب ..

فقل لمرجي معالي الأمور بغير اجتهاد رجوت المحالا

وأنت في طريقك لهذا الهدف ..

- ابدأ أول ما تبدأ بإصلاح سريرتك وتزكية باطنك ، وتخلية قلبك من نفسك ، فالتغيير دائماً يبدأ من الداخل .. قال تعالى "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"..
- ثم تتدرج معها ، فإن استعصى عليك خُلق تكلّفه في البداية حتى يصبح مع الزمن وكثرة الدُربة عليه ملكةً لك .. وصفة من صفاتك ..

وتجد هذا التدرج من تأملك في كتاب ربك فإنك سترى من سنة الله في خلقه التدرج وعدم إعطاء الشيء دفعة واحدة .. فالله لا يعجل لعجلة أحد من خلقه ..

ومن فهمك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :"**إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم**"..

فإن أردت أن تكون حليماً لا بد أن تتكلف في كظم غيظك..

وإن أردت أن تكون حكيماً لا بد أن تتكلف في صبرك وأناتك وعدم عجلتك .. وهكذا ..

• وأنت تتدرج وأنت ترتقي لا بد من نقص – ولا بد من تقصير – فكن رفيقاً بنفسك فلا تحبطها بل منيها .. وعدها بأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، وكن صبوراً على نفسك ، وتعلم هذا الصبر من صبر الرب على عباده ومن تكرار تربيته لهم ..

قال صلى الله عليه وسلم : "**ليس أحد – ما أحدٌ – أصبر على أذى سمعه من الله فأنهم يدعون له ولداً وإنه ليعافيهم ويرزقهم**"[1] .. فهذه الفضائل لن تحصلها في يوم وليلة ، وبين عشية وضحاها ، بل لا بد من صبر ومصابرة ومجاهدة ومرابطة .. قال تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾..

فإن كان عندك صبر ومصابرة ومرابطة فأنت موعود بالفلاح ..

• اخفي سقطاتك وزلاتك ، وفشلك واحباطاتك وماضيك عمن حولك ، فالله عز وجل ستّير يحب الستر وأولى هذا الستر أن تستر أنت على نفسك .. وتذكر أنه ما من أحد إلا وقد زل وتعثر ، ولكن ليست العبرة بنقص البداية وإنما العبرة بكمال النهاية ..

وهذا هو مدلول كلام موسى عليه السلام حين عيرّه فرعون بذنبه في قتل القبطي فقال: ﴿**وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الكَافِرِينَ** ﴾.. فرد عليه سومى : ﴿**فعلتها إذاً وأنا من الضالين ففرت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وعلماً وجعلني من المرسلين**﴾..

• استصحب معك دائماً .. (بان الله ينجي العبد بما انطوت عليه سريرته)..

فالقضية قضية قلب ، وما حواه هذا القلب ، وما قام في هذا القلب ، فكما يقول الرافعي :

(الإنسان عند الناس بهيئته وحليته التي تبدو عليه ، ولكنه عند الله بهيئة قلبه ، وما هذا الجسم من القلب إلا كقشرة البيضة مما تحتها ، فيالها من سخرية أن تزعم القشرة لنفسها ان بها هي الاعتبار عند الناس لا بما فيها ..)[2]

---

[1] متفق عليه
[2] حوي القلم (٢٣٠/١)

ثق انك إن صدقت مع ربك في إرادة صلاحك وتزكية نفسك وسعيك لمعالي الأمور تريد بذلك أن تبلغ درجة مرضية عند ربك ؛ فإن الله سيحفظ لك هذا الصدق ويعاملك به بل ويشكرك عليه ..

فمن كان لله كما يريد .. كان الله له فوق ما يريد ..

قال تعالى : ﴿ **إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾..

رحمتك بمن حولك ..

رحمتك بمن حولك هي سبب من أسباب رحمة الله بك ، فقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رحمة الله ينالها عباده الرحماء : **(إنما يرحم الله من عباده الرحماء)** [1] فالإنسان لا يشقى بمثل نزع الرحمة من قلبه ، لأن ذلك معناه المنع مع الدخول في رحمة الله والعياذ بالله.

قال صلى الله عليه وسلم : **"من لا يرحم الناس لايرحمه الله "** [2]

فمن خلى قلبه من الرحمة ولم يرحم والداً ولا ولداً ولا زوجةً ولا مسكيناً ولا يتيماً ولا ضعيفاً .. ولم يعن مكروباً ولا مهموماً ولا مظلوماً فمن باب أولى أن لا يرحمه الله ..

فإنك إن رحمت الخلق وأحسنت إلى الخلق رحمك رب الخلق .. "إن رحمت الله قريب من المحسنين"..

والمؤمن كيس فطن عليه أن يطرق وأن يلح من جميع الأبواب التي توصله لمرضاة ربه لأنه لا يعرف من أي الطرق سيرحم..

---

[1] متفق عليه.

[2] متفق عليه.

اسم الله (الولي)

الولي: هو المتولي لأمر خلقه القائم على تدبير ملكه

والولاية قسمان

ولاية عامة | ولاية خاصة

الولاية العامة : يدخل فيها جميع الخلق وهي تقتضي تصريف المقادير وتدبير أمور الخلق فالله هو الذي يعطي ويمنع ، ويعز ويذل ويخفض ويرفع يقدر الأرزاق المقادير.

هذه هي الولاية العامة أي أن يتولى أمر عباده بلا منازع ولا مضاد

قال تعالى ﴿ **أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[1] ،

قووله ﴿**وهو الذي يترل الغيث ومن بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد**﴾[2]

الولاية الخاصة: وهي ولاية عظيمة وتول كريم.

هي ولاية عصمة وعناية، ولاية نصرة ومحبة وقرب وكفاية ولاية توفيق وتثبيت وحفظ ودفاع.

هذه الولاية لها آثار تظهر على العبد منها:

١) **أن الله إذا تولى عبده أخرجه من الظلمات إلى النور** ﴿**اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾ [3] فإذا وقع هذا العبد في شيء من ظلمات الجهل والغفلة ونسيان

[1] (١-٢) سرقو الشورى
[2] سرقو الشورى
[3] سرقو البقرة

الآخرة أو انزلقت قدمه في شيء من أمور الدنيا والمعاصي أو أصباه الفتور والكسل فإن الله لا يتركه بل يستدركه وسرعان ما ينتشله ويرفعه ويخرجه مما وقع فيه أو يرسل له من يوقظه ويأخذه بيده إليه وهذه من ولايته له.

٢) **إذا تولى الله العبد فإنه يدبر أمره ويكفيه كفاية لا نظير لها**

ويكفي أن استشهد بقصة الزبير بن العوام رضي الله عنه أحد المبشرين بالجنة لما حضرته الوفاة قال لابنه عبد الله (يا بني اقضي عني ديني) كم كان دينه؟؟ ألف ألف ومائتا ألف ، دين كبير لا تفي به أموال الزبير !!

ثم قال له (فإن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه بمولاي ، قال عبدالله : يا أبتي من مولاك ؟؟ فقال : الله ، فيقول عبدالله (والله ما وقعت كربة من دينه إلا قلت : يا مولى الزبير اقضي دينه فيقضيه عنه)[١]

طلب ولاية الله فتولاه الله وقضى عنه دينه بل وبارك له في بقية ماله فورثت كل زوجة من زوجاته ألف ألف ...

إذا تولاك الله بارك لك وإذا بارك لك فليس لبركته منتهى سبحانه وبحمده.

إذا تولى الله العبد فإن العناية الرباني تحوطه من كل جانب ، من فوقه ومن تحته ومن أمامه ومن خلفه وفي صغره وفي كبره

وتأمل قول الله لموسى عليه السلام " وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي " : تتربى على نظري في حفظي وولايتي وحمايتي ، رباه تربية خاصة ، ونشأة تنشئة خاصة

رباه في قصر عدوه دون أن يمسه أحد بأذى ألقى الله محبته في القلوب " وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي " فلا يراه أحد إلا ويحبه حرم الله عليه المراضع فلم يقبل ثدي امرأة قط إلا أمه !! فرده الله إليها وفرعون هو بنفسه من يدفع أجر الرضاعة ويحتفي بهذه المرضعة !!

---

[١] الفتح –كتاب المانقب.

عصمة الله من الانحرافات والظلم والفساد الذي كان في قصر فرعون فما كان يتنقل من مرحلة إلى مرحلة إلا وعناية الله تحوط به وما هي إلا ولاية الله له.

٣) <u>إذا تولى الله العبد صرف عنه الوساوس والهواجس والشكوك والنزغات وسلم له قلبه وإيمانه</u>

وهذه نعمة كبيرة يوم أن يسلم لك قلبك فهذه الوساوس والأفكار والواردات والنزغات تهجم على الإنسان بدون استئذان وربما لا يستطيع ردها ولا صرفها في بعض الأحيان فيتألم بداخله ويضطرب قلبه ويتزلزل فإذا تولاه الله لا يلبث أن يصرفها عنه ، ويكشفها عنه ، فيحفظ عليه دينه وإيمانه ويربط على قلبه

وتأمل حين حصلت غزوة أحد ورجع عبد الله بن أبي زعيم المنافقين بثلث الجيش بعض المؤمنين اضطربت قلوبهم وهم (بنو حارثة وبنو سلمة) وهموا ان يرجعوا ويتركوا الجهاد مع رسول الله والآية تصور لك المشهد ﴿**إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون**﴾ هذا الهم مكانه في القلب شيء خفي لا يعلمه الناس ولكن الله مطلع على هذه القلوب وما يدور فيها من الخطرات والنيات والمقاصد والواردات وإذا علم الله من عبده صدقاً تولى أمره وصرفها عن قلبه.

٤) <u>إذا تولى الله العبد عصم جوارحه وأعانه عليها وسخرها له في طاعته</u>

يقول الله في الحديث القدسي "**وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مم ا افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها**"[١]

يعان على السمع فلا يسمع حراماً ، يعان على البصر فلا ينظر إلى حرام ، ولا يخطو خطوة إلى حرام ، ولا يتعلق قلبه بحرام ولا شبهة ولا شهوة يعطي البركة فيما يكتبه ويصنعه بيده ويقوله

---

[١] ابخارلي – كتاب الرقاق

بلسانه ويمشي إليه برجله بمعنى يوفق في غدوه ورواحه وعمله وقوله ، وممشاه ومجيئه ويسدد ويبارك له وكل هذه معونة من الله وهذا العون صورة من صور ولاية الله له .

<u>ولا يظن أحد أنه سيكون ولي الله وهو لم يتأهل لهذه الولاية</u>

من هم أولياء اللّه ؟؟

لم يترك الله عز وجل المجال للناس في تعريف من هو الولي ولكن الله عرف به فقال سبحانه ﴿ **أَلا إِنّ أَوْلِيَاءَ اللّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتّقُونَ** ﴾

الوصف الأول لهم الإيمان الخالص بالله ، والوصف الثاني تقوى الله عز وجل.

وإذا نظرنا للحديث القدسي السابق "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء ..." الحديث.

نخرج أيضاً بوصف ثالث لأولياء الله وهم الذين يتقربون إلى الله بما يقربهم إليه.

قال الحافظ ابن حجر (المراد بولي الله العالم المواظب على طاعته المخلص في عبادته)[1]

والباب مفتوح أمام الناس للدخول في ولاية الله عز وجل. والولاية مراتب ودرجات قال تعالى ﴿ **ثُمّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ** ﴾[2]

أولياء الله ينقسمون إلى قسمين

المقتصد	السابق بالخيرات
(وهم أصحاب اليمين)	(وهم المقربون)

[1] الفتح ١٢٦/١٤ قنلاً عن قوادء وفودئا من الأربعين النووية انحمد مظم سلطان
[2] فاطر (٣٢)

المقتصد : هو الذي يقتصر على فعل الفرائض والواجبات وترك المحرمات حريص على صلاته وزكاته وصيامه وجميع ما فرض الله عليه ما ينقص منها شيء

لكنه لا يزيد عليها ، فهو قد يترك المستحبات (النوافل) ويقع ببعض المكروهات

هذه هي الدرجة الأولى في الولاية (**ما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه**).

السابق بالخيرات : وهو أعلى من درجة المقتصد

فهو يتقرب إلى الله بأكثر من الفرائض عنده اجتهاد في النوافل وزيادة في الطاعات ، عنده مسابقة ومسارعة وليس فقط يترك ما حرمه الله بل يترك حتى المكروهات ويتورع عن المشتبهات ويأخذ دينه بالورع.

فهؤلاء يتولى الله أمرهم بالكامل ويتولى الله معونتهم ولا يعني هذا أن المقتصدين أصحاب القسم الأول لا يتولاهم الله بل هم أولياء الله ويأتيهم العون من الله ولكن ليسوا كالمقربين السابقين بالخيرات ليسوا بنفس الدرجة

إذ أن هناك ربط (بين العون وبين العبادة) نحن نقرأ في الفاتحة ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾

العبادة حقٌ لله والعون حقٌ للعبد، فمن قدّم حق الله وهو العبادة وقام به وفىّ الله له حقه بالمعونة

فعلى قدر العبادة يأتي العون من الله فالإعانة مقيّدةٌ بالكثرة والزيادة والاجتهاد ولن يجعل الله عبداً أسرع إليه كعبدٍ أبطأ عنه !! وليس الذي يمشي كالذي يهرول ﴿**وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا**﴾

والغُنم بالغُرم : فعلى قدر ما تغرم لربك فسوف تغنم

وسف تعان وسيتولى الله أمرك بالكامل

نسأل الله من فضله

اسم اللّه (الحفيظ)

جاء الاسم على وزن (فعيل) صيغة مبالغة تدل أنه : شديد الحفظ ، عظيم الحفظ ، وأن حفظه محيط بكل شيء.

والحفظ نوعان

حفظ عام وحفظ خاص

الحفظ العام : يدخل فيه كل مخلوق المؤمن والكافر ، البر والفاجر ، السماء والأرض والبحر والدواب وكل شيء.

ودليله ﴿**إِنَّ رَبِّي عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ**﴾ (هود ٥٧) وقوله ﴿**وربك على كل شيء حفيظ**﴾ (سبأ ٢١)

الله سبحانه وبحمد يحفظ السموات والأرض وما فيها وقد لا نشعر نحن بهذا الحفظ فهي أمامنا ثابتة مستقرة متى نشعر ؟؟إذا حصلت الزلازل – والفيضانات – والأعاصير والبراكين ورأيت الناس يخرجون للطرقات والأشجار تقلع والبيوت تهتز – والأرض تتصدع ، عندها ستستشعر هذا الحفظ وتستشعر قوله تعالى ﴿**وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم آياتها معرضون**﴾ (الأنبياء ٣٢)

وقوله ﴿**ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه**﴾ (الحج ٦٥)

فلا تتحرك ولا تميل ولا تسقط وكل هذا من الحفظ والله يحفظ ذلك بلا مشقة ولا كلفة ودون أدنى تعب أو نصب كما قال سبحانه ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾ (البقرة ٢٥٥)

وتأمل سعة هذا الحفظ في قوله تعالى ﴿**إِنْ كُلّ نَفْس لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظ**﴾ فكل نفس موكل بها حافظ يحفظها بأمر الله حفظة كراماً من الملائكة ، يحفظونه في يقظته ومنامه وفي سيره وجلوسه وفي

دخوله وخروجه وفي سفره وإقامته من المهالك والمعاطب ومصارع السوء ﴿ **لَهُ مُعَ قِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ** ﴾ الرعد (١١)

ويحفظ على الخلق أعمالهم ويحصي عليهم أقوالهم وأفعالهم ولا تغيب عنه غائبة ولا تخفى عليه خافية ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَاماً كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾ (الانفطار ١٠-١٢)

ويوافيهم بها يوم الحساب إن خيراً فخيرا وإن شراً فشر.

<u>الحفظ الخاص</u> وهو خاص بعباده المؤمنين.

قاعدة هذا الحفظ لمن أراده وأراد أن يدخل فيه هو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "**أحفظ الله يحفظك**"[1] فالله يحفظ من يحفظونه ، وعلى قدر حفظك لربك فإنه يحفظك إذا حفظته حفظاً بالغاً فإنه سيحفظك حفظاً بالغاً وإذا حفظته حفظاً قليلاً فإنه سينقص حفظه لك

وءازجلا من جسنذ العمل.

كيف يحفظ العبد ربه ؟؟

فأصل‌هل العلم في ذهه اسملأ.ـلـ ولكننا سجنذعلام لالالي لالالا قناط

أن تدفظحدوحلالا — أن تحفظ جوارحك — وأن تحفظ قلبك

هذه أمور ثلاث إذا حفظتها تأهلت أن يحفظك الله حفظاً خاصاً

حدود الله : قال تعالى ﴿ **وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (التوبة ١٢٢)

حدود الله هي أوامره ونواهيه وهذا يشمل الدين كله ولكن من أهم ما يجب على المرء أن يحفظه من هذه الأمور والواجبات هي (الصلاة)

هي الميزان الذي تزن فيه حفظك لأوامر الله كلها.

---

[1] رواه أحمد اولترمذي أبوو يعلى اوبن السني اولبيهقي في شعب الإيامن راجع رسالة نور الاقتباس لابن رجب

يقول الله تعالى ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** ﴾ (البقرة ٢٨٨).

ويقول سبحانه ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ** ﴾ (المعارج ٣٤)

ويقول صلى الله عليه وسلم "**من حافظ على الصلوات الخمس ركوعهن وسجودهن ومواقيتهن وعلم أنهن حق من عند الله دخل الجنة**" ، أو قال : "**وجبت له الجنة**" أو قال : "**حرم على النار**"[١]

وفي حديث **(من حافظ عليهن كن له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة)**[٢]

الصلاة هي رأس مالك .. هي رأس العبادات كلها هي خط الدفاع الأول عنك فالميت إذا وضع في قبره تأتي الصلاة عن رأسه لتدافع عنه وتقول (ما قبلي مدخل)[٣]

هي العبادة التي يرزق بها العباد النظر إلى وجه الله تعالى: "**فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا**"[٤]

وأهل الجنة إذا كشف الله لهم عن وجهه ورأوه جل جلاله نسو حتى نعيم الجنة من عظيم لذة النظر إلى وجهه الكريم سبحانه وبحمده فهذا هو النعيم الذي ليس بعده نعيم نسأل الله من فضله ولن تحصل عليه إلا بالصلاة.

هي التي تغسل الذنوب عنك "**مثل الصلوات الخمس كمثل نهرٍ جارٍ غمرٍ على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات**"[٥]

هذه هي الصلاة ...

إذا أفلحت فيها أفلحت في سائر عملك.

---

[١] رواه أحمد بإسادذ جيد – حسنها لألباني في صحيح الترغيب ٢٧٦/١

[٢] أخرجه أحمد بإسادذ لا بأس به

[٣] رواه الطبراني في الأسوط اوبن حبان في صحيحه وحسنها لألباني صحيح الترغيب ٤٠٤/٣

[٤] متفق عليه اوفللظ لبخارلي

[٥] رسهاوم لم

وإذا ضيعتها وأنقصتها ونقرتها وسرقتها وما انتهيت منها إلا وهي تقول ضيعك الله كما ضيعتني !! ثق أنك ستكون لما بعدها من أوامر الله وحقوقه أضيع .. لذلك أعيد عليك أيها القارئ الكريم العبارة السابقة (الصلاة هي الميزان الذي تزن فيه حفظك لأوامر الله كلها)

وكأن الصلاة هي الأصل فإذا ضبطت الأصل ستضبط الفروع ولابد.

١) ضبط الصلاة والمحافظة عليها يبدأ من الوضوء إسباغ الوضوء وإتمامه واست شعار أن الوضوء عبادة وأن خطاياك تتناثر وتتساقط بهذا الوضوء إذا توضأ الرجل المسلم خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه فإن قعد قعد مغفوراً له[١]

٢) من حفظك للصلاة أيضاً أن تعرف أن الصلاة محل امتحان ، يمتحن الله فيه الناس وأن من حَسُنَ وقوفه في صلاته حسن وقوفه بين يدي ربه فإذا دخلت في صلاتك لابد من المجاهدة ، حتى لا يغلبك الشيطان عليها فإن له كرات وغارات ، لاسيما وقد عرفت أنه واضع خطمه على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس وإن نسي التقم قلبه

فكن يقظاً

حارساً لصلاتك

مشغولاً بها ، حابساً قلبك عن الوساوس والخطرات جامعاً لشتاته

حتى تخرج منها وقد كتبت لك كاملة

عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول **"إن الرجل لينصرف وما كتبت له إلا عشر صلاته ، تسعها ، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها ، ثلثها، نصفها"**[٢]

٣) ومن حفظك لصلاتك أن تكثر وتلح على الله بالدعاء بأن يجعل قرة عينك في الصلاة وأن يرزقك الخشوع فيها ، فالخشوع هو لب الصلاة وروحها ولذتها قال تعالى :" **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**

---

[١] صحيح الترغيب اولتوهيب ١٩٣
[٢] صحيح الترغيب اولترهيب ٣٥٥/١

الّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ " وقال صلى الله عليه وسلم **"ما من مسلم يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقوم في صلاته، فيعلم ما يقول ، إلا انفتل وهو كيوم ولدته أمه"**[1]

فإن كانت الصلاة تشغلك وتهمك وهي قضيتك وتريد أن تترقى فيها وان تحسن فيها وأن تكون ممن إذا دخل صلاته استشعر أن الله ينظر إليه، ويستمع لقراءته ، فقلبه حاضر وجوارحه حاضرة بل وتترقى أكثر فتكون ممن إذا دخل صلاته وكأنه يشاهد بين عينيه ، مستغرق قلبه مع الله ... مهما أطال .. ومهما قرأ .. ومهما صف قديمه...

فهو متلذذ بصلاته يتمنى أن لا تنتهي !!! فأكثر من الدعاء أن يجعل الله قرة عينك في الصلاة، وأن يرزقك الله الخشوع فيها وطول القيام والتلذذ بها، فإن دعاؤك يكشف الهم الذي تحمله في صدرك وليس شيء أكرم على الله من الدعاء

حفظ الجوارح : كما قلنا في النقطة السابقة أن أهم وعلى رأس ما يجب أن تحفظه من حدود الله وأوامره الصلاة فإذا حفظتها كنت لما بعدها أحفظ وإذا حفظتها سيحفظك الله في بقية أوامره فهنا نقول إن أهم ما يجب أن تحفظه من جوارحك اللسان

أحفظ هذا اللسان وسيحفظك الله في بقية جوارحك

"إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول " "اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا "[2] تكفر اللسان : تتواضع وتتذلل وتناشده ، اللسان باب مخوف بلب وعر قل من ينجو منه ويسلم منه ، هو موطن البلاء وهو أخوف ما يخافه الصالحون ... بكلمة قد يرتفع الإنسان ، وبكلمة قد يسقط أبعد مما بين المشرق والمغرب (لقد قلت كلمة لو مزجت بما البحر لمزجته "[3]

اعتل بعير لأم المؤمنين صفية رضي الله عنها وعند زينب فضل ظهر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لزينب "أعطيها بعيراً " فقالت : أنا أعطي تلك اليهودية؟ فغضب رسول الله صلى الله

---

[1] رواه الحاكم قاول صحيح الإسادذ صحيح الترغيب ٣٥٥/١

[2] رواه الترمذي اوبن أبي الدنيا ، وحسنها لألباني صحيح الترغيب اولترهيب (٩٣/٣)

[3] رأبـ هاوو داود اولترمذي اولبهقي قاول الترمذي حسن صحيح (صحيح الترغيب٧٧/٣)

عليه وسلم فهجرها ذي الحجة والمحرم وبعض صفر [1]، من أجل كلمة !! وعن جابر رضي الله عنهما قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فارتفعت ريح منتنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "**أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين**"[2]

ما استزلنا الشيطان إلا من ألسنتنا !!

ولو فتحنا قوائم الألسن وقوائم الكلمات التي ننطق بها ليلاً ونهاراً لوجدنا أنفسنا أمام آفات كالفيضانات تنهمر انهمارا وتغمرنا غمراً وما فينا أحد يستثنى ..!! كلنا متهم !! وكلنا يتكل م !! وكلنا يخوض بلسانه ويلطخ !! ولا مجال للإسقاط ..

وتأمل كلام ابن مسعود رضي الله عنه (والذي لا إله غيره ما على الأرض شيء أحوج إل ى طول سجن من لسان) وأبو بكر الصديق يجبذ لسانه ويقول (هذا الذي أوردني الموارد)[3].

الله سبحانه يقول ﴿**ويل لكل همزة لمزة**﴾ كم يأخذ الهمز واللمز من واقع الزمن؟؟

ثواني – لحظات مجرد حركة لسان إشارة بالعين أو الفم ونحوها وبالمقابل ماهو العقاب ؟؟؟ ويل (وادي في جهنم تسيل فيه دماء أهل النار وصديدهم) أكثر ما نسود به صحائفنا زلات ألسنتنا وسقطاتها لذلك قال صلى الله عليه وسلم "ليس شيء من الجسد إلا يشكو ذرب اللسان على حدته"[4] ذرب اللسان : شره وفحشه

لذلك كانت وصية النبي صلى الله عليه وسلم "من حفظ مابين لحييه ومابين رجليه دخل الجنة"[5]

وبالعموم حفظك الجوارح : هو أن تكفها عن ا لحرام وأن تستعملها في طاعة الله فمن أراد أ ن يتمتع بجوارحه ويستشعر المعنى الذي نردده في دعائنا "متعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا واجعلها الوارث منا" فليسخرها في طاعة الله يمتعه الله بها.

---

[1] رأبو داود – صحيح الترغيب ٧٧/٣
[2] رواه أحمد وابن أبي الدنيا (صحيح الترغيب والترهيب٧٩/٣)
[3] - ٥ صحيح الترغيب والترهيب

أبو الطيب الطبري جاوز المائة وهو ممتع بعقله وقوته وثب يوماً من سفينة إلى الأرض وثبة شديدة فعوتب على ذلك فقال : (هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في ا لصغر فحفظها الله علينا في الكبر)[1]

حفظ القلب : قلبك هو وديعة الله عندك فإياك أن تفرط أو تخون أو تهمل هذا القلب هو محل نظر الله عز وجل وهو أنفس وأشرف وأغلى مضغة يمتلكها الإنسان ، وهو طريقك إلى الله فالسفر إلى الله ليس سفراً بالأقدام والنجائب والركائب وإنما هو سير القلوب إلى الله " **يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ . إِلّا مَنْ أَتَى اللّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** "

وقد كنت استمع إلى إحدى حلقات برنامج (نور على الدرب الذي يبث في إذا عة القرآن الكريم فقالت إحدى المتصلات على البرنامج : أنها تعاني في الشتاء من الكسل والفتور في العبادة خاصة في الوتر وقيام الليل بسبب البرد الشديد ..

فرد عليها الشيخ بعبارة هي الشاهد الذي أريده وهي عبارة موفقة مسددة تبيِّن لك أيها القارئ مكانة القلب !!

قال لها : (إذا كان القلب حيّ تحرك البدن سواء في الصيف أو في الشتاء) وهذا صحيح..

إذا ضخ القلب ضخت الجوارح .. وتحرك البدن ونشط في العبادة

وإذا ضعف القلب ضعفت الجوارح وفتر البدن وكسل عن العبادة

وما لم نعتني بقلوبنا ستظل جوارحنا معطلة وكما قال الحسن رحمه الله

(داو قلبك فإن مراد الله من العباد صلاح قلوبهم) جامع العلوم والحكم

كيف نحفظ قلوبنا ؟

١ -احفظ قلبك من الشهوات والشبهات حتى لا يسقط قلبك ويضيع منك

---

[1] روذ الاقتباس لأبن رجب.

٢ – احفظ قلبك بتخليته وتصفيته وتنقيته من الدغل والخبث والسرائر الفاسدة ومعاصي القلوب فيه مفسدة للقلب ومتلفة له.

٣ – احفظ قلبك بأن تتعلم عن ربك أسمائه وصفاته،فمن كان يحب أن يعلم منزلته عند الهف فلينظر منزلة الله عنده فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه.

٤ – احفظ قلبك بكثرة ما تسقيه وترويه من كلام الله حتى لا ينشف وييبس ويقسو هذا القلب ويصبح كالأرض الجرداء القاحلة التي لا نبات فيها ولا ماء.

(فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله)

٥ – أحفظ قلبك بكثرة الأعمال القلبية (من حب وخوف ورجاء وذل وخضوع وإنابة وإخبات وتوكل ومراقبة وإقبال وتسليم وتفويض وتعظيم ... وغيرها من أعمال القلوب)

درب نفسك عليها فهي تضمن لك سلامة قلبك وزكاته ورقته ولينه قال صلى الله عليه وسلم "إن لله آنية من أهل الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه ألينها وأرقها"[١]

سبقت البشرى لأصحاب هذه القلوب من الله رب العالمين فقال : "وبشر المخبتين"

بشر كل من لان قلبه ، وارتجف فؤاده، وذرفت دموعه ، .. بشر كل من خاف ووجل وأخبت وأناب .

بشر كل من وجد دموعه حارة وحاضرة وقريبة ووجد نفسه منجذباً إلى ربه في ليله ونهاره وصبحه ومساءه انجذاباً لا ينقطع عنه....

ومن ذاك إحساس المحب لقلبه بضرب وتحريك إلى الله دائماً

(وبشر المخبتين)

وفي الحديث "يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير"[٢]

---

[١] السلسلة الصحيحة ١٦٩١

[٢] رسهاوم لم في صحيحه ٧٠٩.

قلوبهم مثل قلوب الطير في رقتها وخوفها وفزعها وضعفها آواهين منيبين رجاعين إذا أذنب أحدهم أقل ذنب وأبسطه انتفض كما ينتفض العصفور وعاد وأناب إلى ربه..

احفظ قلبك

فقلبك وديعة عندك وعلى قدر عنايتك بقلبك سوف تؤجر ، وما سعى الإنسان في إصلاح شيء أعظم من سعيه إصلاح قلبه

هذه ثلاث محاور للحفظ أحفظ حدود الله وأحفظ جوارحك وأحفظ قلبك إن حفظتها حفظك الله.

ثمرة الحفظ

١)وإذا حفظك الحفيظ فأنت في خير وإلى خير وقد حزت الخير كله

وإذا حفظك فلن يستطيع أحد أن يضرك أو يؤذيك أو يتسلط عليك

٢)إذا حفظك زاد دفاعه عنك ونصرته لك وستره لمعايبك حتى لا يراها الناس منك.

ونتيجة الحفظ وثمرته واضحة في قوله صلى الله عليه وسلم (أحفظ الله تجده تجاهك)

أي أنك تجد الله معك في كل أحوالك يحوطك وينصرك ويسددك ويقودك إليه يحفظ عليك إيمانك وقلبك وأهلك ومالك وذريتك.

قال قتادة : من يتق الله يكن الله معه ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب والحارس الذي لا ينام والهادي الذي لا يضل ، إقرأ القرآن وأنت سترى الآيات تلو الآيات تصور لك حفظ الله لأنبيائه وحفظه للصالحين من عباده حفظه لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حفظه لقلوبهم – لإيمانهم وهذا كثير وخاصة في السور التي تتكلم عن الغزوات ....

ولكن ما فائدة الآيات بدون إبصار؟؟

"قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ"[١]

---

[١] الأنعام ١٠٤

[3]) إذا حفظك الله حال بينك وبين معصيته ذكر ابن رجب خبر ذلك الرجل الذي هم بمعصية فخرج إليها فمر بطريقه برجل يحدث في حلقه فسمعه يقول : أيها الهام العاصي بالمعصية أما علمت أن خالق الهمة مطلع على همتك ؟؟ فوقع مغشياً عليه وما أفاق إلا عن توبة[1]

وكم وكم من الكلمات التي أسمعك الله إياها (وأنت في زعزعة وضعف وحيرة وفيك ما فيك)

يسمعك الله إياها من فم خطيب أو شيخ أو من إذاعة ونحوها ليحفظ عليك دينك وإيمانك فتثبتك وتوقظك وتنتشلك من حيرة كنت فيها أو تردك من خطوات لمعصية مشي تها !! أسمعك الله إياها سماع قلب فحفظك بها وحال بينك وبين معصيته وهذا من صور حفظه جل جلاله لك.

٤) إذا حفظك حال بينك وبين سبب من أسباب الدنيا كان قد يؤذيك أو تتضرر فيه يقول ابن مسعود رضي الله عنه (إن العبد ليهم بالأمر بالتجارة والأمارة فينظر الله للملائكة فيقو ل اصرفوه عنه فإني إن يسرته له أدخلته النار فيصرفه عنه)[2]

---

[1] روذ الاقتباس لابن رجب – بتصرف – أوصنح اقارلئ بقرءة ذهه الرسالة الفميدة
[2] روذ الاقتباس – لابن رجب – بتصرف.

اسم اللّه "الوهّاب"

يقول ابن القيم في نونيته:

وكـــذلك الوهّـــابُ من أسمائـهِ فانظُر مواهِبهُ مدى الأزمانِ

أهلُ السمواتِ العُلى والأرضِ عن تــلك المواهبِ ليس ينفكانِ

ورد في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:

- قال تعالى ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨)﴾ (آل عمران ٨)

- وقال تعالى ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (٩)﴾ (ص ٩)

- وقال تعالى على لسان سليمان عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥)﴾ (ص ٣٥)

ما هو تعريف الهبة؟

هي العطية الخالية عن الأغراض والأعراض والآلام والضرر.

متى تسمى العطية هبة؟

إذا كانت خالية من العِوض⇦ يُعطيك ولا ينتظر من وراء هذا العطاء عِوضٌ منك، بأن ترد له هذه العطية بمثلها أو بأحسن منها.

إذا كانت خالية عن الأغراض⇦ يُعطيك ولا ينتظر منك مدحاً ولا ثناءً ولا حظاً ولا رفع مذمة عنه، فيعطيك بغير عِوض ولا غرض.

إذا كانت خالية عن المكروه والضرر⇦ عطية نقية لا ضرر فيها ولا مكر ولا استدراج ولا سوء ولا ألم، إنما هي هبةٌ ورحمةٌ وبركةٌ منه وفضلٌ عليك.

ولا يستحق أحدٌ أن يُسمى وهابا إلا إذا:

- تنوعت وهائبه وتعددت وكثُرت من جهة، ومن جهة أخرى استمرت ودامت واتصلت، فعلى هذا لا واهب على الحقيقة إلا الله عز وجل فهو سبحانه الذي تعددت مواهبه، يهب ما يشاء لمن يشاء: يهب المال، والجمال، العِلم، الولد، الدنيا، المُلك، والمتاع والطاعة والرحمة والمغفرة والهداية ...... يهب كل شيء، كل ما يتعلق بأمر الدنيا والآخرة هو هِبةٌ من الله ومتعلق باسمه الوهاب.

وهائبه وعطاياه تُدر على عباده بدون حصر ولا عد

- ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا** (٥٠)﴾ (مريم ٥٠)
- ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا** (٥٣)﴾ (مريم ٥٣)
- ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ** (٧٢)﴾ (الأنبياء ٧٢)
- ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ**﴾ (الأنبياء ٩٠)

هباتٌ متنوعة تعرِّفك قدر الوهاب وقيمة الهبة. فمن قرأ كلمة (وهبنا) بقلبٍ واعٍ حيٍّ وقّاد لعرِف وفهم أن معناها أعطينا بلا سؤال ولا طلب.. أعطينا ووسعنا في العطاء.. أعطينا ما لا يُتصور أن أحداً يعطيه، ووهبنا ما لا يستطيع أن يهبه أحدٌ لأحدٍ البتة.

- أيوب عليه السلام قال الله عنه ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا**﴾ (ص ٤٣)

قال جملة المفسرين: إن أيوب أبتُلي فلبث في بلائه ثلاث عشرة سنه فرفضه القريب والبعيد وعافه الجليس، وأوحش منه الأنيس وانقطع عنه الناس وفقد جميع ماله وولده، ولم يبقَ له إلا زوجته البرّة الوفية التي كانت تخدمه وتقوم بشأنه حتى كانت تخدم الناس لتُطعمه، وما زاده هذا البلاء إلا صبراً واحتساباً وحمداً.

وبعد هذا الصبر أتت الوهائب . وهبه الله أهله ومثلهم معهم، أحيا له أولاده الذين ماتوا، شفى المريض منهم، جمع عليه من تشتت منهم، أعطاهُ مثل ما أخذَ منه وزاده عليه.

ليس ذلك فقط، بل أنزل عليه من السماء جراداً من ذهب! كما جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "**بينما أيوب يغتسل عرياناً خرّ عليه رِجْل جراد من ذهب، فجعل يحثي في ثوبه، فناداه ربه: يا أيوب ألم أكُن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يا رب ولكن لا غِنى لي عن بركتك**".[1]

هذا عطاء يدلك على سِعة هبة الله لعبده. طالما أن هذا العبد صبر لربه هذا الصبر وسكن له وتواضع وتضرّع فإن الله سيهبه بلا حصر ولا عد ولا عِوض ولا غرض. فالهِبة تأتي على قدر الواهِب لا على قدر الموهوب له.

فإذا أصابك مكروه أو حلّ بك ما لا تحب، ولزِمت الصبر ولم تتضجر ولم تتأفف ولم تشتكي فثِق أن وهائب الله ستأتيك، وأنه على قدر لجوئك ستكون وهائب الله لك.

- تأمل في حال زكريا عليه السلام. بلغ من العمر التسعين، انتشر الشيب في شعره، وهَنَ عظمه وجسده، بلغ من العمر عتياً وهو السن الذي تيبس فيه المفاصل والعظام وتجف. بالإضافة إلى عُقم زوجته فهي عاقر لا تلد، كان في قمة العجز في الأسباب. وهو في خضم هذا العجز والعجز يلفه من كل جانب، حقّق العبودية وأظهر لله فقره ومسكنته وذُلّه وحاجته، انطرح بين يدي ربه.

وابن رجب رحِمه الله يقول: (من طرح نفسه بباب ربِ الأرباب لم يحتج إلى زمنٍ طويلٍ في فتح الأبواب).[2]

أظهر لله ضعفه.... يا رب أنا ضعيف أضعف من الريشة التي تتقلّب في الهواء.. أضعف من راكبٍ في سفينة والأمواج تقلّبه، ترفعه وتخفضه، فهو غرقان لا محالة.. يا رب أنا اضعف لك من هذا ومن ذاك.

---

١ رواه ابخارلي (٦/٤٢٠)
٢ زنهة الخاطر العاطر لإبن رجب

إذا عرف العبد أن ينطرح بين يدي ربه بهذا الضعف وبهذا الانكسار فإن الأبواب لا شك ستُفتح والوهائب ستنزل.

زكريا عليه السلام انطرح واستوهب ربه وقال ﴿**رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨)**﴾ (آل عمران ٣٨)

يقول بعض أهل التفسير: إذا وجدت إنساناً يقول ربِّ هب لي، فاعلم يقيناً أنه قد وضع أملُه كلُه في الله ولغى الأسباب. لأن الهبة عطاء من الله بدون مقابل، فالله يُعطي بدون أسباب، ويُعطي حتى وإن عزت الأسباب. ومن عَظُم يقينه بربه لم يكِله الله إلى نفسه ولا إلى الأسباب. لم يكِله الله إلا إليه جلّ جلاله. وإذا وكلك الله إليه دبّر أمرك وقضى حاجتك وتولاك وسعِدت سعادةً لا مثيل لها.

اللهم إنا نسألك صِدق التوكل عليك وكمال حُسن الظن بك

- علّمنا الله في كتابه أن نستوهبه. ﴿**رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨)**﴾ (آل عمران ٨)

وهذه رحمةٌ شاملةٌ تشمل ست رحمات:

أن يحصل في القلب نور التوحيد والإيمان، وأن يحصل في الأعضاء نور الخدمة والطاعة، وأن يحصل في الدنيا سهولة أسباب المعيشة وصلاح الحال، وأن يحصل عند الموت سهولة السكرات، وأن يحصل في القبر سهولة السؤال، وفي القيامة غُفران السيئات".[1]

- استجاب الله لدعاء موسى عليه السلام فوهبه أخاه هرون نبياً، والنبوة أعلى ما يمكن أن يهبه الله لعبدٍ في الدنيا، فهي لا تُنال بعقل ولا ذكاء ولا اجتهاد وإنما هي هبة الله المحضة.
- استجاب الله لدعاء إبراهيم عليه السلام فوهبه إسحاق ويعقوب نافلة.
- استجاب الله لسليمان عليه السلام فوهبه مُلكاً عجيباً يحار العقل في مفرداته وعناصره.

---

١ قنلاً من إحدى الدروس العلمية لحكلتو محمحو ادلبيسي في ششحه لاسم الله لوهاب

فما بقي لنا نحن إلا أن نوحد ربنا بهذا الاسم العظيم (الوهاب)، وأن نستوهب ربنا كل شيء، ولا نستعظِم ولا نستكثِر في حقه شيء. فالله اكبر وأعظم من كل شيء. والله عزّ وجل لا يحب من عبده التشكُّك والتردد وأن يقول كيف؟ ومن أين؟ ولا يمكن ومستحيل ... وكأن خزائن الله قد نفذت وعطاياه قد انتهت وكأن الله ليس عنده ما يُغني به خلقه.

يحبُ اللهُ من عبده أن يوحده وأن يعلم قدرته وأن يعلم سِعة عطائه ومُلكه وكثرة وهائبه وأنه الوهاب سبحانه وبحمده.

اسم اللّه " الشكور "

معنى اسم "الشكور": هو الذي يجازي على المعروف بأكثر منه، ويعطي الكثير على العمل القليل، ويضاعف الأجر بلا حساب.

ومن صور شكر الله لعبده:

- أنه إذا انعقد قلبك في السير إليه جل جلاله ومشيت إليه شبراً مشى إليك ذراعاً، وإذا مشيت إليه ذراعاً مشى إليك باعاً . وفي الحديث القدسي "**عبدي قمْ إليّ أمشي إليك، وامشِ إليّ أهرول إليك**".[1]
- ومن شكره أنه ينشرُ للعبد طِيبَ إحسانه فيُثــني عليه بين ملائكته وفي ملأه الأعلى ويُلقّي له الشكر بين الناس.
- من شكره أنه يشكر للعبد حتى حركة قلبه ويجازيه عليها أضعاف أضعاف ما كان يتصوره. سحرة فرعون صدقوا مع الله في توبتهم وكرههم للسحر وكان الله مطلعاً على قلوبهم شاهدٌ على ما قام فيها، فشكر لهم صدقهم فثبتهم وربط على قلوبهم وأفرغ عليهم صبراً ورفع ذكرهم وأنزل فيهم قرآناً .
- من شكره لعبده أنه من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، ومن بذل له شيئاً رده عليه أضعافاً مضاعفة.
- ومن شكره لعبده أنه غفر لامرأةٍ بغيّ (محترفة زنا ومتمرسة فيه قضت سنوات من عمرها في الزنا والبغاء) غفر لها لأنها سقت كلباً! وهل سُقيا كلب تمحو هذه الكبيرة الفظيعة الشنيعة؟

إنه الغفور الشكور الذي لا يُقال له لِمَ وكيف و لماذا؟

---

١ السلسلة الصحيحة (٢٢٨٧)

إنه الرب الشكور سبحانه وبحمده ويحب من عبده أن يكون شكوراً وقد قال ﷺ **"لا يشكرُ اللهَ من لا يشكرُ الناس** ".[1] أي من كان طبعه كفران نعمة الناس وعدم الاعتراف بجميلهم ومعروفهم وكانت هذه هي عادته مع الناس فهي هي عادته مع الله.

لذلك إبراهيم عليه السلام لما زار ابنه إسماعيل في ارض الحجاز ولم يكن في بيته وخرجت زوجته إليه وسألها كيف أنتم؟ فأخذت تشتكي من الفقر والقِلّـة و ...... قال لها: إذا رجع قولي له غيِّر عتبة بابك أي طلِقها. لماذا؟ لم تشكر ولم تذكر نعمة الله عليها. الوفاء عندها قليل والله يحب من عباده الأوفياء ويحب من عباده الشاكرين المعترفين بفضل الله عليهم وبفضل كل ذي فضلٍ عليهم. جعلنا الله وإياكم من الشاكرين.

وأختم بهذه الأبيات لأبي تمام:

ومن الرَّزيَّةِ أن شُكريَ صامتٌ	عمّا فعـلتَ وأنَّ بِرَّكَ ناطِـقُ
أأرى الصنيعةَ منك ثُمَّ أُسِرُّها	إنّي إذاً لِندى الكريمِ لسـارقُ

أخيراً: **الشكر يحتاج إلى ضراعة**

صفوة الخلق كانوا يسألون الله أن يرزقهم يعينهم على الشكر " رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين".

وهاهو دعاء نبينا ﷺ الذي علّـمه لمِعاذ رضي الله عنه "**اللهم اعنّي على ذِكركَ وشكركَ وحُسنِ عِبادتك**". وأخبرنا عليه الصلاة والسلام "**من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي من نعمةٍ أو بأحدٍ من خلقك فمِنك وحدك لا شريك لك. فلك الحمد ولك الشكر فقد أدّى شكر ليلته**".[2]

وقال ﷺ "**إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلةَ فيحمدهُ عليها أو ليشرب الشربةَ فيحمده عليها**".[3]

---

١ رأبـ هاوو دادوو اولترمذي قاول حسنٌ صحيح
٢ رأبـ هاوو داود اولسانئي
٣ رسهاومـ لم (٢٧٣٤)

وقال عليه الصلاة والسلام "**من صُنِع إليهِ معروفٌ فقال لفاعِله: جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثــناء**".[1]

وقد كان أبو بكر رضي الله عنه يقول في دعائه "أسألك تمام النعمة في الأشياء كُلــِّها، والشكر لك عليها حتى ترضى وبعد الرضا، والخيرةُ في جميع ما تكونُ فيه الخيرةُ بجميع ميسورِ الأمور كُلــِّها لا معسورِها يا كريم".[2]

ملاحظة :
*يسمح تصوير الملزمة للتوزيع المجاني ويمنع بيعها منعا باتا
*يمنع التعديل والإضافة على محتوى الملزمة

يسعدنا استقبال اقتراحاتكم ومناقشاتكم على الايميل التالي:
Altawhid.mail@gmail.com

---

١ رواه الترمذي قاول حسنٌ جيد
٢ لاةعلاللالابرين قنلاً عن ضرةذ النعيم